Al-Dirasat Al-Islamiyyah (Islamabad) 01:3 (1965)

العـــروبـــة

(موجز تاريخها من ٨٥٠ ق م إلى سنة ١٩٦٣م)

للاستاذ عمر ــ ا ــ فرخ

لا توجد ظاهرة فى العالم العربى اليوم جديرة باسترعاء النظر فى حيرة بالغة أكثر من الشعارات والرموز المتموجة عن العروبة والقومية العربية . ولقد قلب الكتاب من ذوى الشهرة من الأقدمين والمحدثين على السواء البحث عن أوجهه المختلفة للقومية العربية فصنفوا فى ذلك الرسائل والكتب المختلفة . أما الأحزاب العربية السياسية فإنها تقوم ما بين حين وأخر متفقة أو مختلفة تضم على وجه الخصوص الناشئة والشبان .

سأحاول فى هذه المقالـــة أن أتتبع بإيجاز موضوع تطور القوميـــة العربيـــة منذ أقدم عصورها حتى اليوم . وسوف اقـــدم كذلك ملخصا بالنزعات الحزبيـــة العربية فى أيامنا هذه تجاه القوميـــة العربيـــة والإسلام .

إن مفهوم العروبة لا يختلف عن أى مفهوم آخر من حيث عدم إمكان خضوعـــه لحد واحد ثابت لا يتعداه إلى غيره . ومع ذلك فلو حاولنا أن نيسر ذلك بنقله إلى الإنجليزية بقولنا (Arab Nationalism) فإننا فى الواقع سنضيف تعقيدات جديدة إلى مفهوم التعريف الاروبى لهذه كلمة (Nationhood)

© Dr Muhammad Hamidullah Library, IIU, Islamabad. http://iri.iiu.edu.pk/

من وجهة نظر الفقه اللغوى القديم :

إنـــه يبدو أمرا طبيعيا أن سكان العراق الأقدمين من البابليين و الأشوريين كانوا يتحدثون عن أقربائهم وبنى عشيرتهم وجيرانهم ممن يلونهم من جهة الغرب والجنوب الغربى ، فأطلقوا عليهم على وجه الدقة والتمييز تسميـــة (أرب) ، ولا بـــد أن تكون هذه الكلمـــة قد اشتقت من أصل يبدو لنا اليوم أنه مشوب ، ومعناه الأصلى "غرب" بالإضافة إلى عدة مفهومات أخرى ذات صلة به من مثل : غروب و عشية وغسق . ومن معانيه أيضا كانت لفظة غراب وذلك بسبب سواد لونه[1].

ثم حدث أن تحول الحرف الاول « أ » من الأصل البابلى « أ . ر . ب » عند عبوره إلى الغرب إلى الصوت "ع" الحلقى المخـــرج ، و اختلط بالصوت "غ" الحلقى هو الآخر ، على نحو ما يفعله الباريسيون عند تلفظهم بالراء فى كلمة "باريس" . ويتصل بهذا الأصل الدخيل المعقد ع . ر . ب . كلمات من نحو : عربون (رهنية ؛ دفع جزء مقدما من الثمن) ، وعروبة (يوم الجمعة) ، وغرب (شجرة تتخذ منها السهام وغريب وغيرها[3].

ومن بين المعانى الواردة فى المعاجم السامية والتى لها إتصال بالأصل ع . ر . ب . ، على الرغم من كونها لا شك فى حداثـــة تطورها ، الفاظ من نحو : غنم ، وعقيم ، وعاقر وأخيرا لفظ صحراء . ولا بد أن تكون التسمية الجغرافية "عربة"[4] وهى علم على صقع فى جنوب فلسطين[5] يقع شرقى البحر الميت ، قد جاءت كذلك بسبب طبيعة الإقليم الممحلة . أما شبـــه الجزيرة التى نعرفها اليوم باسم الجزيرة العربيـــة فقد كانت

أصلا معروفة باسم عربات جمع عربـــة[٦]، أو كان يطلق عليها عربـــة[٧] وحدها اختصارا .

ومع أن الأشوريين كانوا قـــد سمـــوا الجـــزيرة العربيـــة (ماتو أرب) أو بلاد العرب أو بلاد الغربيين ، فإنه على مرور الزمن وبمقتضى السهولة أصبح ضروريا أن تطلق تسمية صقع بصفة عامـــة على سكان إقليم شاسع له نفس خواص ذلك الصقع (٨) . وعلى ذلك فإن هذه التسمية (عرب) كانت أصلا محصورة فى القبائل البدوية فى شمال الجزيرة العربية عند شرق فلسطين والصحراء السورية العربية . وبهذا المعنى الضيق (بدوى) ورد لفظ "عرب" فى النقوش الأشورية وفى العهد القديم وفى النقوش العربية الجنوبية (٩) .

ولما كانت حدود امة ما هى عادة حدود اللغة التى تتكلم بها تلك الامة ، فإننا نستطيع أن نفترض أن جماعة " الأرب " منذ تلك العصور السحيقة كانت متميزة تميزا تاما عن سكان العراق وقد كونوا لأنفسهم امة منفصلة لغويا وبالتالى اجتماعيا .

لكن اللغويين المسلمين ثم يقصروا مصنفاتهم على المفردات الخاصة بالامة المحدثة ، والحقيقة أن المعاجم العربية القديمة تشتمل على جميع المفردات التى أمكن اقتناصها من البقاع التى كانت مظنة لتجوال القبائل فيما قبل الإسلام . ولذلك فإننا نزعم ، وزعمنا لاريب فيه ، أن اللغويين المسلمين قد سمحوا دخول مفردات غير عربية فى معاجمهم .

فلنحدد الآن موقفنا من لفظ "أرب" الذى عرف طريقه فى المجتمع البابلى بهمزة مفتوحة فى أوله ويتوصل العرب أنفسهم إلى نطقها بقلبها عينا حلقيه ، غير أن القاموس يذكر أن عربان (١١) ، وعربون

(وهو مقدم ما يدفع من الثمن ، أو الرهنية) يمكن أن ترسم على غير خلاف بهمزة أو عين على السواء (١٢) وينص تاج العروس الذى هو شرح القاموس (١٢) على أن اربان بمعنى بدو هى صيغة أخرى لعربان .

وتوجد حالات مشابهة تقلب فيها الهمزة عينا حتى فى الألفاظ المستعارة من لغات غير سامية ، إذ يحدث أن يسمع فى أسواق بغداد لفظ (عانه) بدلا من (آنه) الهندية التى هى عملة معدنية صغيرة ، وكذلك (عرموط) بدلا من الكلمة التركية (آرموت) أى الكمثرى ، عند التحدث بالخصوص عن بعض أصناف المأكولات كالسمك واللحم والخضر . ويرد سماع عرموط هذه أيضا فى أسواق بيروت بنفس المعنى ،

فى الأدب الجاهلى :

إن الآثار الأدبية الجاهلية وعلى الأخص الشعر فى الأعم الأغلب تعرض علينا مجموعة من المفردات المشتقة من الأصل (ع ، ر ، ب ،) الدخيل ، أما هذا الأصل مختلف تماما عن كلمتى " العرب " و "العربية" . بمعنى الجنسية أو القومية العربية . وكل ما كان يطلقه العرب الجاهليون على أنفسهم فى ذلك الحين لم يكن إلا الألقاب والتسميات التى تميز كل قبيلة عن الأخرى من نحو بكر وتغلب وعبس وذبيان وتميم وشيبان وقريش وغيرها . ولم يحدث مطلقا أن أطلقوا على أنفسهم كلمة العرب ليدلوا بذلك على أنهم أمة ذات مميزات وخصائص جنسية معينة .

ولم تكن الخلافات والحروب بين هذه القبائل مستمرة ودائمة فحسب ولكنها أيضا كانت وحشية وفظيعة للغاية . ويحدثنا التاريخ كيف أن

المعارك بين بكر وتغلب فى حرب البسوس ، وبين عبس وذبيان فى حرب داحس والغبراء قد استمرت كل منهما أربعين سنة . ولا شك أن عدد القتلى فى هاتين الحربين لم يكن كبيرا بالقياس إلى طول المدة ، غير أن الشعور الوطنى القومى كان ضعيفا لدرجة أن القبائل المختلفة كانت تسلك فيما بينها دائما مسلك العداوة الفطرية المتأصلة بين أقوام لم تربط بينهم قط روابط جنسية بل هم على العكس من ذلك متباغضون متناحرون . وإنه لم يحدث إلا فى نهاية العصر الجاهلى لأول مرة فى سنة ٦١٠ ميلادية وعلى الأرجح فى السنة الاولى من البعثة النبوية ﷺ أن بعضا من قبائل الشمال الشرقى من شبـــه الجزيرة اضطروا إلى توحيد قضيتهم فى حربهم ضد الفرس فى موقعة ذى قار الشهيرة (١٤) .

وقبل ذلك بقليل بدأ الشعور بالقومية أن يتطور فى القسم الشمالى من شبـــه الجزيرة ، فهذا عنترة الشاعر البطل الجـــاهلى قال فى ناقته :

شربت بماء الدحرضين فأصبحت (١٥)
زوراء تنفر عن حياض الديلم (١٦)

الدحرض (بالضم) ، ووسيع ماء ان بالجزيرة العربية وثناهما عنترة فى بيته المذكور . ومعناه أن ناقتـــه التى ارتوت من مياه الدحرضين العربيين قد انحرفت ومالت إلى الوراء بعيدا عن حياض الفرس الذين هم غير العرب (١٦) . فالحقيقة أن عنترة قد أحس بالشعور القومى ولكنه أخفق فى صوغ التعبير المناسب له .

* * *

لفظ "عربى" كما ورد فى القرآن :

قد ورد فى القرآن الكريم ثلاث صيغ للمادة : ع . ر . ب هى : "عرب" جمع عروب ، وهى (أ) الزوجة التى لاتألو جهدا فى أن تكون دائما محبوبة من زوجها (١٧) ، (ب) "عربيون" و (ج) "أعراب" أى البدو .

لقد وردت كلمة « أعراب » فى القرآن فى عشرة مواضع ، من السور المدينة ، فى الأجزاء الأخيرة من القرآن التى نزلت بالمدينة فيما بين سنتى ٦٢٢ ، ٦٣٢ الميلادتين . وليس هنا موضع تفصيل القول فى ورودها فى السور المدينة دون المكية .

أما لفظ "عربى" فقد ورد ذكره فى القرآن فى أحد عشر موضعا ، انفردت ثمانية منها ببيان أن القرآن انزل بينا واضحا غير ذى عوج ، وأما الثلاثة الاخرى فقد وصفت لغة القرآن بمثل ذلك (١٨) . ويحتمل فى موضع واحد أن يكون المراد منه الشخص العربى[19]، ولكن الذى لا شك فيه مع ذلك ، أن القرآن هو الذى أطلق على اللغـــة التى نتكلمها اسم "العربية" . ولكن كيف أطلق القرآن هذه التسمية ؟ وهل هى تسمية مستحدثة الصياغـــة من صنع القرآن نفسه ؟ أم أنها كانت جارية فى الإستعمال على وجه عام قبل مجئ الإسلام ؟ وعلى العموم فنحن متثبتون من شئ واحد وهو أن هذا التخصيص قد ظهـــر أول ما ظهر فى القرآن وحده .

القومية العربية والديانة الإسلامية :

وكما سبق أن ذكرنا ، فإن سكان شبة الجزيرة التى أطلق عليها الأشوريون واليونان والرومان من امم العالم القديم إسم "العربية" ، كانوا يعتبرون أنفسهم دائما وحدات قبيلية كل منها مستقلة عن الاخرى ، و

كثيرا ما يتباهون بعصبيتهم وبصلة الدم الخالصة وبنجابتهم فى داخل تلك الوحدات ، ومهما يكن من شئ ، فإنه لا يوجد دليل ألبتة على أنهم اتخذوا لأنفسهم وجودا قوميا .

ومع أن الإسلام لم يكن فى حقيقة أمره إلا عودا على صورة نقية للدين فى جوهره من حيث كونه فكرة توحيدية ، ولكنه قد ظهر فى العالم كحركة واسعة شاملة لم يكن الدين فى جملتها إلا مظهرا واحدا . فإن الإسلام هو فى نفس الوقت دين وبناء إجتماعى ونظام أخلاقى و دولة . وعلاوة على ذلك فإنه يمتاز أيضا بكونه ليس كاليهودية دينا قوميا يختص بجماعة معينة من الناس هم العبرانيون ، أو كالمسيحية التى جعلت همها حصر الفكر فى كيفية الوصول إلى النجاة من هول اليوم الآخر مع الإهتمام فى نفس الوقت بأداء ما لقيصر لقيصر وما لله لله (٢٠) . ولكن الإسلام كان على العكس من ذلك منذ أول أمره فهو دين الإنسانية جمعاء أخذ على عاتقه العناية بشئون الإنسان فى هذا العالم وفى العالم الآخر .

بهذا الروح قضى الإسلام على العصبية القبائلية التى كانت سائدة بين العرب فى العصر الجاهلى وجعل منهم إخوانا غاضيا النظر عن جنس أولون أو مركز إجتماعى أو ميزات شخصية . فكان يعيش جنبا إلى جنب مع العرب فى الحجاز عند ظهور الإسلام أحباش وفرس وزنوج وإغريق ولقد دعاهم الإسلام جميعا إلى دين الله . ولما كان غير العرب ممن يعيشون عادة فى مدن الحجاز التجاريـــة يعانون من حياة الرق و العبودية فقد وضع الإسلام حدا فاصلا لهذه التعاسة بينهم وبين أسيادهم العرب الذين كانوا يقاسمونهم أعمالهم ، فمنحهم حق ولايتهم على أنفسهم

وحررهم من سلطان الرق والعبودية بمجرد اعتناقهم الإسلام . ونحن نقرأ فى القرآن الكريم : « يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير » (٢١) ولقد نهى النبي ﷺ نفسه فى صراحـــة عن التمييز العنصرى فقال : « ليس منا من دعا إلى عصبية وليس منا من قاتل عصبية وليس منا من مات على عصبية » . (٢٢)

المفهوم القومى من لفظ "عرب" :

إن المتتبع للفظ "عرب" سيجد أن استعماله أول ما استعمل صراحة فى الدلالة على فكرة القومية يرجع إلى العام الثالث الهجرى أى سنـــة ٦٢٥ الميلادية حينما تحدث حسان بن ثابت الأنصارى * عن أهله وعشيرته بعد أن اعتنق الإسلام . قائلا :

بدا لنا فاتبعناه نصدقة (ﷺ)
وكذبوه (ﷺ) فكنا أسعد العرب

أما الإستعمال الأول للفظ "عرب" بالمفهوم القومى الدقيق فإنه يبدأ من سنة ٨ هجرية (٦٣٠ ميلادية) حينما هجا عمرو بن الأهتم ابن عمه قيس بن عاصم معيرا إياه بأصله إلا غريقى حيث قال :

إن تبغضونا فإن الروم أصلكم
والروم لا تملك البغضاء للعرب

وهنا تبرز حقيقتان على جانب كبير من الأهمية لها دلالتهما التاريخية فى القومية العربية والإسلام : أولاهما ، هى لو أن عربيا من العرب

* هو كعب بن مالك وليس حسان بن ثابت (انظر صحيفة المراجع للتفصيل)

ما قبل الإسلام ظل حيا ليشهد ظهور الإسلام ولكنه لم يعتنقه ، فإن مثل ذلك العربى كان دائما معتبرا فى عداد الجاهليين ، وأما ثانيتها ، فهى أن العرب الذين اختاروا لأنفسهم ألا يعتنقوا الإسلام قد أنكروا التسمية "عربى" الذى قد صار فى ذلك الحين مرادفا للفظ "مسلم" :

ولقد كان بقاء غير المسلمين فى الجزيرة العربية محتملا طالما كان الإسلام لم يصل درجة كافية من القوة والبأس . وقرب نهاية السنة التاسعة للهجرة (٦٣١ ميلاديـــة) صار الإسلام حقيقة واقعة وانتشر فى الجزيرة العربية كلها ماعدا بعض القبائل القليلـــة العدد هنالك . وحتى مكة نفسها معقل الوثنية العربية قد أذعنت هى الأخرى للإسلام . وفى هذا الوقت انزلت الآيات الاولى من سورة التوبـــة (٢٥) التى فيها اتخذ الإسلام موقفا صريحا تجاه الوثنيين من العرب الذين اعطوا مهلة ستة أشهر كان عليهم فى خلالها أن يعتنقوا الإسلام ، أما هؤلاء الأفراد والجماعات الذين عارضوا فى ذلك فإنهم انذروا بالحرب والإفناء . وأما بخصوص المعاهدات التى أبرمها بعض القبائل مع المسلمين من قبل والتى كانت تزيد بقية أجلها عن ستة أشهر فظلت سارية المفعول حتى نهاية آجالها متفق عليها .

أما السنتان التاسعة والعاشرة الهجريتان (٦٣٠ ، ٦٣١ — ٣٢ م) فقد اطلق عليهما اسم "عاما الوفود" بسبب أن القبائل العربية التى كانت ما تزال عاكفة على الوثنية أوفدوا من بينهم إلى المدينة أقواما ليعلنوا بين يدى النبى ﷺ إذعانهم لدين الله الإسلام . وبهذا لم تكد سنة ١٠ الهجرية (٦٣٢ الميلادية) تنتهى حتى آذنت الوثنية بالإنصراف نهائيا عن شبه الجزيرة العربية .

منذ أول لحظة أعلن الإسلام على الوثنية حربا شعواء ، بيد أنه

لم يتخذ، حتى اكتمل له شئ من القوة، موقفا ما تجاه اليهودية والنصرانية لأن اليهود والنصارى فى نظر الإسلام أهل كتاب يؤمنون بدين سماوى وقد كانوا جميعا بحكم وجودهم أصلا لاجئين فى الجزيرة العربية وفدوا من سوريا ومن فلسطين ولكنهم فروا بسبب اضطهاد الرومان لهم منذ أوائل القرن الذى ظهرت فيه المسيحية وأما النصارى فكانوا من بين الأقليات الذين عانوا من ظلم إخوانهم المسيحين الذين كانت فى يدهم السلطة فى الأمبراطورية البيزنطية فهؤلاء اليهود والنصارى الذين لجأوا إلى الجزيرة العربية كانوا من الآراميين الساميين على الأرجح ولكنهم لم يكونوا عربا . وقد حدث فى خلال القرون القليلة السابقة على ظهور الإسلام أن اعتنق قليلون من سكان شبه الجزيرة العربية الديانة المسيحية، وقليلون منهم اتخذوا اليهودية دينا لهم . فاتخذ الإسلام تجاه هؤلاء اليهود والنصارى موقفين مختلفين متميزين :

(١) فأما اليهود والنصارى الذين لم يكونوا من الأصل عربى كالآراميين والإغريق وغيرهم فقد تركت لهم الحرية أن يستبقوا عقائدهم التى كانوا عليها من قبل على شرط أن يظهروا ولاءهم للإسلام و للمسلمين وألا يظاهروا أعداءهم عليهم . وكان عليهم مع ذلك أن يؤدوا خراجا سنويا يتفاوت ما بين اثنى عشر درهما (خمسة وعشرين شلنا) وثمانية أربعين درهما عن كل رأس .

(٢) وأما اليهود والنصارى الذين كانوا من أصل عربى فلم يكن لهم اختيار فى شئ غير اعتناق الإسلام (٢٦) فإذا لم يذعنوا فليس لهم من سبيل إلا أن يهاجموا ويحاربوا حتى يتقبلوا الإسلام أو يبادوا عن آخرهم (٢٧) وحتى جزية الرؤوس لم تكن لتقبل منهم فى مقابل

احتفاظهم بعقائدهم القديمة (٢٨) . وقد أفتى بعض الفقهاء بأنه لزم عليهم دفع الجزية حيث أنهم كانوا على قدم المساواة مع الوثنيين (٢٩) .

اشترك اليهود فى معاونة أعداء المسلمين عليهم مرارا وحاربوا المسلمين فى عدة مناسبات . وكانت عاقبـــة أمرهم خسرى فقد هوجموا وغلبوا على أمرهم وصفيت بذلك مشكلتهم فى الجزيرة العربية . وأما من بقوا منهم أحياء بعد أسرهم والإستيلاء على مدنهم ومعاقلهم فقد نفوا بعيدا عن شبه الجزيرة (٣٠) .

ومن جهة أخرى كان النصارى أوفياء لتعهداتهم التى ارتبطوا بها مع النبى ﷺ ، غير أن مثل هذه المعاهدات لم تكن لتدوم إلى الأبد مع النصارى الذين كانوا من أصل عربى من أمثال بنى تغلب . فهؤلاء التغلبيون الذين آثروا أن يبقوا على دينهم المسيحية شرعوا يزحفون صوب الشمال تاركين شبه الجزيرة خلفهم طالما كان النبى ﷺ على قيد الحياة، مؤثرين بذلك من تلقاء أنفسهم أن يتفادوا أى احتكاك بالمسلمين . إنتقل النبى ﷺ إلى جوار ربه فى يوم الإثنين ١٢ ربيع الأول سنة ١١ هجرية ، (٨ يونيو سنة ٦٣٢ ميلادية) وفى نفس اليوم وقبل أن يوارى جسده فى التراب اختار المسلمون أبا بكر خليفة للنبى ﷺ .

سادت الإضطرابات الداخلية خلال العامين اللذين استمرت فيهما خلافة أبى بكر ، فقد جاهرت معظم القبائل العربية بعصيانها له وقبض ولائها عنه الذى دانت به من قبل للنبى ﷺ ورفضوا إرسال الزكاة التى اعتادوا أداءها للنبى ﷺ فى المدينة على رؤوس أموالهم المدخرة و بضائعهم وثرواتهم التجارية . وتعرف هذه الحركة التمردية فى التاريخ باسم "الردة" أو التخلى عن الإسلام . ولم تكن الردة فى حقيقتها نكوصا

على الأعقاب بالمعنى الدينى العام وإنما كانت ثورة على السلطان المركزى فى المدينة .

وفى خلال هذه الفترة القصيرة التى لم تتجاوز عامين استطاع أبوبكر أن يخمد جميع الإضطرابات التى سببها المرتدون وسرعان ما عادت إلى الجزيرة العربية وحدتها السياسية تحت علم الإسلام .

أما الفرق من الجند التى اشتركت فى حروب الردة وجدت نفسها عند نهاية هذه الحروب فجأة متعطلة تماما لا عمل لها ، فتوجهوا شطر العراق متطوعين من تلقاء أنفسهم لمحاربة الفرس دون انتظار أى أمر من المدينة . فاتفق لهم فى أثناء سيرهم أن أتوا على خيام بنى تغلب و اشتبكوا معهم فى معركة حامية (٣١) .

فى الثانى والعشرين من جمادى الثانية سنة ١٣ هجرية الموافق ٢٣ من أغسطس سنة ٦٣٤ الميلادية تولى عمر بن الخطاب الخلافة بعد أبى بكر ، وكانت فتوحات العرب فى ذلك الوقت على أشدها فى العراق وفى الشام . وقد أشير على عمر فى ذلك الوقت أن يترك التغلبيين وشأنهم فى هذه الآونـــة الحرجة كى لا يتكدر الجو على المسلمين بالنسبة لانشغالهم فى فتوحاتهم ، واشير عليه كذلك ألا يتشدد فى حملهم على اعتناق الإسلام أو محاربتهم حتى يذعنوا لذلك أو إبادتهم (٣٢) . فاستجاب عمر لهذه المشورة ولكنه اشترط على التغلبيين شروطا منها :

١ ــ ألا يؤدوا ضريبة الرؤوس وذلك لكونهم عربا .

٢ ــ أن يؤدوا الزكاة ضعفين لأنهم ليسوا مسلمين .

٣ ــ ألا يشتركوا فى حرب ضد المسلمين .

٤ ــ ألا ينصروا أطفالهم . (٣٣)

وفى خلال خلافتى عمر بن الخطاب المتوفى فى سنة ٢٣ هجرية (٦٣٤ الميلادية) وعثمان بن عفان المتوفى سنة ٣٥ هجرية (سنة ٦٥٦ الميلادية) كانت الفتوحات العربية على أشدها شرقا وغربا وبرا وبحرا . وكان من نتيجة تلك الفتوح أن انضوى تحت لواء المسلمين وملكهم أناس متعددون من أجناس شتى من الآراميين والعبرانيين والفرس والأكراد والبربر والقبط والإغريق والزنوج ، يحملون عقائد متباينة من يهود ونصارى ومجوس وصابئين وطبيعيين . فبناء على تعاليم الإسلام الأساسية ومبادئه الإنسانية صار جميع هؤلاء الناس بمجرد اعتناقهم الإسلام ، بصرف النظر عن جنسهم أو عقيدتهم أو وضعهم الإجتماعى ، مجتمعا واحدا يدين بدين واحدا ـ مجتمع المسلمين الذين يؤلفون فى مجموعهم أمـــة واحدة .

ولى معاوية بن أبى سفيان الشام من قبل الخلافة فى سنة ١٥ هجرية (٦٣٧ ميلادية) . ولم يلبث غير قليل حتى بدأ تراوده نفسه ليكون خليفة حاكما على الدولة الإسلامية المترامية الأطراف من أولها إلى نهايتها. فشرح فى حرص وعناية فائقة يعد الشام لتكون يوما ما مهدا ومركزا لأمبراطوريته . ثم أخذ على عاتقه إحياء الأنظمة الإغريقية السابقة فيها مشجعا بذلك إثارة العصبية القبيلية العربية بين المسلمين وغير المسلمين مستهدفا بذلك الحط من قدر الأجناس غير العربية . وحينما آلت السلطة إلى الإمام على بن أبى طالب فى سنـــة ٣٥ هجرية (٦٥٦ ميلادية) تحت ظروف مضطربة ، ظل معاوية يناهضه ويناضله مدة أربع سنوات . وباغتيال الإمام فى سنة ٤١ هجرية (٦٦١ ميلادية) خلا الجو لمعاوية فأصبح قادرا على تأمين الخلافـــة لنفسه ولاسرته من بعده بتأسيسه الدولة

الاموية .

ظلت السياسية الرسمية للدولة إسلامية خالصة طيلة عهد الخلفاء الراشدين ، ومنذ قيام الدولة الاموية تحولت هذه السياسة جملة واحدة إلى العصبية العربية بمعنى أن العرب وهم أقلية كانت لهم السياده والغلبة على السواد الأعظم من المسلمين من غير العرب ، وكانت نتيجة ذلك أن فقـد غير العرب من المسلمين جميع امتيازاتهم وبعضا من حقوقهم أيضا على أيدى الحكام الامويين . ولذلك جنح غير العرب من المسلمين إلى أبناء الإمام على وعترتـه واستأنفوا معركتهم ضد الامويين حتى أسقطوهم وأزالوا حكمهم وأقاموا الدولة العباسية فى بغداد سنة ١٣٢ هجرية (٧٥٠ ميلادية) . وكان من الطبيعى أن تنتقل السياسة الرسمية للدولة فى عهد العباسيين من حالة العصبية العربية التى كانت عليها فى عهـد الامويين من قبل إلى السياسة الإسلامية الصحيحة ونتيجة لذلك صار لغير العرب من المسلمين اليد العليا فى تصريف شؤون الدولة وأصبحت لهم الحظوة فى المحيط الإجتماعى .

وعرفت الحركة التى تمثل فيها النضال بين العناصر العربية فى العالم الإسلامى والعناصر غير العربية بإسم " الشعوبية " . وقد بدأت هذه الحركة كعاطفة فى العهد الاموى المبكر ثم تطورت واجتازت فيما بعد مراحل ثلاثا (٣٤) .

ـ الأولى مرحلة المساواة والعدالة (٣٥) : وقد احتج غير العرب من المسلمين بـأن جميع المسلمين متساوون مهـما اختلفت أجناسهم التى ينتمون إليها إذ أن الإسلام قد جعل منهم إخوة وأزال الفروق التى كانت بينهم من قبل .

ـــ والثانية مرحلة التفضيل : إحتج غير العرب مؤكدين أن ماضيهم التاريخى كان أعظم وأزهر من الماضى التاريخى للعرب وأنه لو لم يكن الإسلام لما بلغ العرب ما بلغوه من مجدهم الحالى .

ـــ والثالثة مرحلة الخصومة العنصرية أو بتعبير أدق الشعوبية : وهنالك كافح غير العرب كفاحا مريرا لإزالـــة التسلط العربى وإعادة نفوذهم السياسى الذى فقدوه من قبل كنتيجة لتوسع العرب فى أوطانهم مهد الحضارات القديمة .

وقد استغرقت هذه المرحلة الثالثة فترة من الوقت بلغت خمسة قرون تقريبا ـــ الأمر الذى أفقد هذه المعارك قوتها وصفتها العنصريتين وجعلها سياسية خالصة . فقد حدث فى هذه الفترة أن انقسم غير العرب على أنفسهم إلى معكسرين : فالفرس لزموا جانب العلويين الذين كانوا من غير شك عربا وساندوهم فى مطالبتهم بالخلافة : وأما الأتراك فقد جنحوا إلى العباسيين الذين كانوا عربا أيضا وأخذوا ينافسون العلويين وأنصارهم الفرس .

فى خلال العهد العباسى كان كل شئ فى العالم الإسلامى عربيا و حتى شعراء ذلك العهد الذين كانوا ينتمون إلى أصول غير عربية كانوا أكثر عددا من الشعراء الذين ينتمون إلى أصل عربى ، وفى معظم الأحوال كانوا ينشئون أشعارهم فى أساليب أرق وأعذب من أساليب العرب أنفسهم . ومن أثر الرغبة التى عززوها العرب أن يتخصصوا فى شتى الميادين على أعلى المستويات فى الحياة من قيادة الجيوش والقضاء و قـــرض الشعر و غيرهـــا و أن يكو نوا مـــبرزين فيها ، فإنهم قاسوا خسرانا عظيما فى الأشغال والأعمال العامة فى ميادين الزراعـــة و

الصناعة والتجارة حيث سبقهم فيها غير العرب وتفوقوا عليهم تفوقا عظيما .

ولقد حقق غير العرب من المسلمين خلال الحكم العباسى كسبا معنويا زادهم عزة على عزة وكرامة على كرامة . إن الحروب الصليبية هى أعظم حادث تاريخى فى العصور الوسطى دون منازع . فعلى الرغم من أن الدافع الأساسى والأسباب الحقيقية التى أدت إلى نشوب الحروب الصليبية كانت أسبابا ودوافع اقتصادية وسياسية فإن الأسباب المباشرة والقوى الدافعة إليها كانت دينية خالصة ، فجماهير الجيوش التى تقاطرت من اوروبا على الشرق كان الشعور الدينى هو المحرك الوحيد لها . وكذلك كانت حركة المقاومة التى قامت فى الشرق لصد هذا التيار هى الاخرى مدفوعة بدافع الشعور الدينى .

كان اسم صلاح الدين الأيوبى ألمع الأسماء خلال فترة الحروب الصليبية وهو كردى الأصل . وأما عماد الدين زنجى فلابد ، كما يبدو من تسميته ، أنه كان من أصل زنجى . كان عماد الدين وابنه نور الدين من أشهر أبطال الحروب الصليبية . فالدور الذى لعبه السلاجقة الأتراك والمماليك الأتراك فى هذه الحقبة كانت له أهمية بالغة . أما الأبطال العرب فى هذه الفترة من أمثال اسامة بن منقذ فقد كانوا كثيرى العدد إلا أن العبء الأكبر فى المعركة من أولها إلى نهايتها كان واقعا على كاهل غير العرب لسبب يسير واضح هو أن العرب وحدهم لم يكونوا ، بسبب أعدادهم المحصورة ، ليستطيعوا مقاومة زمر الصليبيين المتقاطرة من كل فج .

* * *

عند ما أغار هولاكو التتارى على بغداد وأزال الخلافـــة العباسية نهائيا فى سنة ٦٥٦ هجرية(١٢٥٨ ميلادية) ، فقد العرب البقية الباقية من نفوذهم السياسى الذى لم يكن شيئا مذكورا لعدة أجيال إلا نفوذا إسميا محصورا فى لقب الخليفة الذى كان فى معظم الأحوال من سلالة عربية .

يعد زمن التتار العصر الذهبى للعلوم والمعارف العربية ويصدق بحق عليه القول أنه كان دورا موسوعيا للثقافـــة العربية فقد بلغ رجال العلم كثرة هائلة فى شتى ميادين العلم والثقافـــة ، من أمثال أبى الفداء وابن خلكان والصفدى والمقريزى وابن تغربردى والفيروزآبادى والسيوطى وغيرهم من مشاهير رجال ذلك العهد على قدر ما يشبع المقام لنا لذكره منهم . وأما فى ميدان العلوم البحتة فيمكننا أن نسوق على سبيل المثال ، ناصر الدين الطوسى الفلكى المشهور لهولاكو وابن النفيس الذى اكتشف الدورة الدمويـــة الصغرى (الرئوية) فى الجسم ، والقزوينى المعروف بأبحاثـــه فى التاريخ الطبيعى . ولا يعزب عن بالنا أيضا أن نذكر أن عمالقة الفكر العربى من أمثال ابن رشد وابن خلدون هم من نتاج ذلك العهد .

ومما هو جدير بالذكر أن هؤلاء المشاهير من رجال المسلمين من الشرق ومن الغرب على السواء كانوا ينتمون إلى أجناس وعناصر متباينة ولكنهم جميعا على الرغم من ذلك كانوا ينشئون ويؤلفون باللغـــة العربية .

ومنذ القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) صار التزواج بين هـــذه الأجناس وبين العرب أمرا عاديا حتى أن العرب أنفسهم صاروا

يتباهون ويتفاخرون بكون دماء أجنبية أصبحت تجرى فى عروقهم وفى ذلك يقول الشاعر الفارس الأمير أبوفراس المتوفى سنة ٣٥٧ هجرية (٩٦٨ ميلادية) :

وأعمامى "ربيعة" وهى صيد
وأخوالى " بلصفر" وهى غلب (٣٦)

وفى مناسبة اخرى عبر أبوفراس بطريقة مماثلة عن خوفه من نيات أقاربه من جهة أبيه ، وأقاربه الإغريق من جهة أمه بقوله :

إذا خفت من أخوالى الروم خطة
تخوفت من أعمامى العرب أربعا (٣٧)

ولقد شهد القرن الخامس الهجرى (الحادى عشر الميلادى) والقرن السابع الهجرى (الثالث عشر الميلادى) هجرة الأتراك وغزوات التتار والحملات الصليبية التى كان لها أبلغ الأثر فى العالم العربى من حيث الصبغة الجنسية على وجه الخصوص ، ولاسيما فى سوريا والعراق ومصر . وكان نتيجة لذلك طبعا ، أنه كان من العسير جدا العثور على شخص عربى حتى ذلك الحين يستطيع أن يقول أنه من نسل عربى خالص كما يصرح بن خلدون المتوفى سنة ٨٠٨ هجرية (١٤٠٥ ميلادية) فى المقدمة (٣٨) إلا فى بعض البقاع السحيقة المترامية فى غياهب شبه الجزيرة العربية .

إن الاسر التى تنتمى إلى اصول تركية أو فارسية أو يونانية لا يحصى اليوم عددها فى العالم العربى من العراق على مدى ممتد من غرب آسيا إلى مراكش مشتمل على شمال إفريقية بأجمعه . أما الاسر التى يرجع

نسبها إلى سلالات الصليبية فى سوريا وفلسطين ولبنان فإنها أيضا ليست قليلة فى عددها ونذكر من هؤلاء على سبيل المثال : الصليبى ، والفرنجى والدويهى ، والبردويل ، والشامبر ، والبنداق ، والدكيز ، والدغان .

كانت الدولـــة العثمانية فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر فريسة اضطرابات لا حصر لها سواء فى الداخل وفى الخارج . ولم يستطع السلطان عبد الحميد الثانى بإعتلائـــه على عرش السلطنة فى سنـــة ١٢٩٣ هجريـــة (١٨٧٦ ميلادية) أن يضع حدا لتلك الإضطرابات ولكنه على كل حال ساعد على بقاء الأمبراطورية وقتا أطول . وبالقياس إلى مفهوم السياسية فى وقتنا الحاضر قد يقال أن عبدالحميد الثانى كان ظالما مستبدا ، ولكنه لم يكن بهذا الخصوص أسوأ حالا من السلاطين والملوك الذين تقدموه فى تركيا أو الذين كانوا معاصرين له من أمثال فرانز جوزيف فى النمسا ، وليوبلد الثانى فى بلجيكا ، وإسكندر الثالث ونيكولا الثانى فى روسيا .

ولقد بدأت الحركة القومية الوطنية أول ما بدأت فى العالم العربى فى مصر ، فقد ثار ضابط مصرى هو أحمـــد عرابى (١٨٣٩ — ١٩١١ م) ضد الخديو الضعيف توفيق الذى فى عهده تعاظم شأن النفوذ الأجنبى بصفة عامة والنفوذ البريطانى بصفة خاصة ، فاستنجد بالبريطانيين الذين استغلوا الفرصة وتذرعوا بالموقف لإحتلال البلاد فى صيف سنة ١٨٨٢ ميلادية .

ولم يكد يمضى عدة أشهر على هذا الحادث حتى قامت حركة انفصالية فى أوائل سنة ١٨٨٣ بين نصارى مدينة بيروت وفى كلية البروتستانت السورية (الجامعة الأمريكية ببيروت) التى لم يكن قد مضى بعد على تأسيسها غير خمسةعشر عاما . إتخذت هذه الحركة الإنفصالية

هيئتها فى شكل جميعة سرية تذيع نشاطها فى الشعارات واللافتات التى كانت تلصق على الجدران فى مدينة بيروت والتى كانت تعلن سخطها على الأتراك والحكم العثمانى متذرعة بذلك إلى حض العرب على الثورة . أما حركة عرابى فإنها لم تخمد ولكنها استمرت فى تطورها على يد مصطفى كامل سنة ١٢٩١ ـ ١٣٢٦ الهجرية (١٨٧٤ ـ ١٩٠٨ الميلادية) الذى أسس الحزب الوطنى (٣٩) فى سنة ١٨٩٤ ، وطالب :

١ ـ إنسحاب البريطانيين من مصر .

٢ ـ تحرير مصر من النفوذ الإستعمارى الرأسمالى الأوروبى .

٣ ـ إخلاص الحب لمصر القديمة والحديثة .

٤ ـ وحدة مصر والسودان (وحدة وادى النيل) .

٥ ـ سيادة الدولة العثمانية على مصر . و

٦ ـ إنشاء الجامعة الاسلامية .

كان مصطفى كامل يعتبر السلطان العثمانى خليفة المسلمين ورأس الدولة الإسلامية فى العصور الحديثة . وبعد مضى عشر سنوات على ذلك أى فى سنة ١٩٠٤ م أنعم عبد الحميد الثانى على مصطفى كامل برتبة الباشوية . ويعتبر مصطفى كامل أبا الوطنية (لا القومية) . كان الفكر السياسى لشعب الأمبراطورية العثمانية يتمثل فى اتجاهين فى ذلك الوقت أحدهما لحزب الشباب أو الوحدويين والآخر لحزب اللامركزيين .

فالوحدويون (الإتحاديون) كان من مبادئهم التى تبنوها ودافعوا عنها أن تدين كل شعوب الأمبراطورية العثمانية بالولاء لحكومة واحدة

هى الحكومة العثمانية مهما كانت أجناسهم وعقائدهم التى يتبعونها وأن تخضع جميعها لثقافة واحدة أى الثقافة التركية وهذا فى الحقيقة معناه بلوغ الغاية فى صبغ كل شئ بالصبغة العثمانية . وأما اللامركزيون من جهة أخرى فإنهم دافعوا عن وجهة نظرهم بأنه إذا كان كل إقليم فى ذاته جزءا متمما لوحدة الأمبراطورية العثمانية كلها فلا ضير إذن من أن يمنح كل إقليم حكومة ذاتية وأن يكون له حينئذ الحق فى أن يتخذ لنفسه لون الثقافة الذى يناسب جنسه وخصائصه النوعية ، وأن يكون له كذلك جهازه الإدارى الخاص بـه ونظامه التعليمى التهذيبى وعلاوة على ذلك تصبح لغته القومية لغة رسمية له فى حين تصير اللغة التركية بمثابة لغة ثانويـــة فى كل إقليم من أقاليم الأمبراطورية . كان المسلمين من العرب ميالين إلى حزب اللامركزيين أما المسيحيون فكان من مبدئهم مساندة الإتحاديين .

كان الروح الذى ساد فى القرن التاسع عشر فى العالم العـــربى متمثلا فى عبد الرحمن الكواكبى سنة ١٣٢٠ هجرية (١٩٠٢ ميلادية) أحد مسلمى مدينة حلب فى شمال سوريا . ترجع أهميـــة الكواكبى و شهرته إلى كتابين له يعتبران بحق الخطوط الهادية للعرب وللمسلمين فى نهضتهم فى القرن الحالى . فالكتيب الأول ام القرى (مكة) عبارة عن مجموعة محاضر جلسات وقرارات اتخذت فى مؤتمر إسلامى عام عقد فى مكـــة واشترك فيـــه ممثلوا المسلمين من حلب ودمشق وبيت المقدس والإسكندرية والقاهرة والبصرة والمدينة و مكة واليمن و نجد و تونس و إنجلترا و اليونان وكردستان و تاتار وكازان و تركيا و أفغانستان و الهند و الصين .

بحث هذا المؤتمر فى أسباب تأخر العالم الإسلامى وتخلفه وأوجد لذلك ستة وثمانين سببا مسؤولة عن هذا التخلف والإنحطاط وليس من علاج لذلك غير التعليم والتربية الإسلامية الصحيحة . وقد كان رأى الكواكبى الذى اقترحه وتبناه فى هذا الأمر هو إقامة مجتمع إسلامى موحد تحت لواء دولة واحدة يكون رأسها خليفة من سلالة عربية و وزير خارجيتها تركيا وأما بقية المناصب الوزارية والوظائف الإدارية فتوزع بين الأجناس الاخرى الذين من بينهم سينشأ المجتمع الإسلامى الجديد . وقد اختار مكة لتكون عاصمة لهذا الإتحاد الإسلامى كما تصبح اللغة العربية أساسا بين أقاليم هذا الإتحاد لغة مشتركة رسمية لوصفها لغة القرآن الكريم ، وأما الشعوب غير العربية فتحتفظ بلغاتها الأصلية على أنها لغات محلية فى الأهمية التالية .

وأما الكتاب الآخر الذى كتبه الكواكبى فهو " طبيعة الإستبداد " وقد عالج فيه بعض الموضوعات السياسية والإجتماعية كالإستبداد والدين ، والإستبداد والتعليم ، والإستبداد والمجد ، والإستبداد والثروة ـــ ـــ ، والإستبداد والتطور والتقدم . وعند نهاية الكتاب عقد الكواكبى بابا بين فيه الوسائل والطرق التى بوساطتها يتحرر الفرد والامة من عبودية الإستبداد وقد أورد فى هذا الصدد خمسة وعشرين بحثا منها نظريته حول الشعوب ، وهل هى مجرد جماعات مؤلفة من مخلوقات حية ، أم هى شراذم من العبيد خاضعة لمالك له مطلق التصرف فيها ، أم أن الامة هى مجموع يتألف من أفراد يوحد بينهم رباط الجنس واللغة و الأرض التى نشأوا عليها والمصالح المشتركة بينهم ، ثم يتناول بالبحث طبيعة الحكومات ، والحقوق العامة ، والمساواة ، والحقوق الشخصية ،

وأنواع الحكومات ، والولاء والطاعة لاولى الأمر ، والأمن العام ، و طبيعة القانون ، وغير ذلك .

لا شك فى أن الكواكبى كان مسلما حقيقيا ومصلحا اجتماعيا ومؤمنا بالجامعة الإسلامية ، وكانت نظرته إلى العرب محصورة فى اللغة العربية ورسالتها من حيث كونها لغة الدين الإسلامى ، أما من حيث العرب أنفسهم فإن نظرته إليهم لم تختلف عن نظرته إلى أى جنس آخر من الأمم والأجناس التى تتألف الامة الإسلامية من مجموعهم .

فى سنة ١٩٠٤ ألف جماعة من الشبان المسيحيين اللبنانيين نعرف من بينهم نجيب عازورى وخليل غانم جمعيـــة فى باريس ، أسموها "الجمعية الوطنية الغربية" وكان غرض تلك الجمعية هو حض العرب على الثورة فى وجه الأتراك . وفى سنة ١٩٠٥ نشر نجيب عازورى كتابا بعنوان " يقظة الامة العربية فى آسيا التركية" ، وفى سنة ١٩٠٧ شرع يصدر بمعاونة بعض الكتاب الفرنسيين جريدة شهرية أسماها "الإستقلال العربى". كان عازورى وصحبـــه يحبذون انفصال البلاد العربية الأسيويـــة عن الأمبراطوريـــة العثمانية لـــكى ينشئوا لأنفسهم مملكة عربية مستقلة ومما يجدر ذكره هنا ملاحظة عدم ذكر أى شئ عن الدول العربـــية الإفريقية ولعل السبب فى ذلك كما يبدو من مراجعة التاريخ ، هو أن تونس والجزائر و مراكش كانت خاضعة للحكم الفرنسى وكانت مصر خاضعة للإحتلال الإنجليزى وأما ليبيا فكانت قد اعطيت لقمة سائغة من قبل فى سنة ١٩٠١ م إلى إيطاليا . فيتضح من ذلك وضوحا جليا أن خليل غانم وزملاءه كانوا قد رتبوا سعيهم لضم البلاد العربية التى لم تكن خاضعة للنفوذ الأجنبى .

المشاعر القومية الحديثة :

قرب نهايـــة القرن التاسع عشر انساق حزب الشبان الأتراك مع تيار السياسة التى تهدف إلى صبغ جميع عناصر الأمبراطورية بالصبغة التركية أو التورانية ؛ وبما أن هذا الحزب كان قد دأب منذ اللحظة الاولى فى تطبيق سياسته بلا هوادة حتى قبل أن تؤول مقاليد الحكم إلى أيديهم ، فقامت ردا على ذلك جمهرة من شباب العرب ضد هذه السياسة مدفوعين سلبيا بمشاعرهم القومية العربية التى لم يجاهروا بها صراحة فى بادىء الأمر إذ لم يكن من الممكن فى إقليمين كالعراق وسوريا واقعين تماما تحت سيطرة حكم يحوطه الحذر والذكاء ، أن يدعى علانية لترويج مبادىء أو عقائد منافية للسياسة الرسمية للدولة . وفى مصر على وجه الخصوص حيث النفوذ العثمانى كان قد تقلص إلى صفر ، إحتل الروح الوطنى وحده المكان كله ولم يترك قيد أنملة للقومية ، إذ لم يكن الشغل الشاغل للمصريين فى ذلك الوقت إلا محاولة توحيد الهدف من أجل الضغط على بريطانيا لتجلو عن البلاد فكان من الطبيعى إذن والحالة هذه ألا يتطرق الفكر بالمصريين نحو الدعوة إلى " الجامعة العربية "

فى سنة ١٩٠٨ حينما اعلن الدستور العثمانى ، وجدت القومية العربية متنفسا للتعبير عن نفسها فى الشعر وفى الخطابة وفى الصحف السورية و العراقية ، التى طولب فيها فى نفس الوقت بالإصلاح الداخلى وإقامـــة الروابط الأخوية بين العرب من جهة وبين الأتراك من جهة اخرى على أساس من جعل الدولة العثمانية علما على هذا الرباط . ولكن بعضا من العرب استمروا على ثقتهم فى حزب الشبان الأتراك أو الإتحاديين ، أما الآخرون الذين ثبتوا على عهدهم للامركزيين ، سواء كانوا مسلمين أو مسيحيين ، فاستمروا

فى حركتهم سرا إذ أنهم لم يكونوا بعد قد انضووا تحت لواء منظمة واحدة .

وفى نفس السنة آلى عبد الحميد الثانى على نفسه أن يكبح جماح السلطة وأن يستعيد أساليبه الإستبدادية فى الحكم . ثم حدث فى إبريل سنة ١٩٠٩ أن خلع عن العرش ونصب فى مكانه آخر ضعيف هو محمد رشاد أو محمد الخامس وآلت مقاليد أمور الدولة فى ذلك العهد إلى الإتحاديين الذين صار لهم السلطان المطلق وخاب بذلك فأل العرب الذين استأنفوا فى هذه المرحلـــة تكوين جمعيات اتجهت فى دعوتها سواء منها السرى والعلنى إلى النزعة القومية وأهم هذه الجمعيات :

١ ــ **جمعية الإخاء العربى العثمانى :** التى تألفت فى القسطنطينية فى سبتمبر سنة ١٩٠٨ ، وقد وجدت تشجيعا من الإتحاديين لأنها كانت فى نظرهم بمثابة الطرف المقابل من جانب العرب للجنة العثمانية للإتحاد والفلاح . دانت جماعـــة الإخاء بالولاء للسلطان وأخذت على عاتقها مطالبـــة بمساواة العرب مع سائر العناصر والأجناس الاخرى فى الأمبراطورية وخاصـــة الأتراك منهم وكذلك أصرت أن تكون الثقافـــة والأدب والعادات فى الأقاليم العربية نابعة منها وبلغتها العربية .

٢ ــ **القحطانيـــة :** نســـبة إلى قحطان جد العرب الأقدم وقد الفت فى أواخر سنة ١٠٠٩ على هيئة جماعة سرية غرضها إقامة مملكة مثنوية تحت التاج العثمانى على غرار مملكة النمسا والمجر فى ذلك الوقت .

٣ ــ **المنتدى الأدبى :** تألفت فى القسطنطينية فى سنة ١٩٠٩ ، ورحبت بالمسلمين والمسيحيين أعضاء فيها على السواء فلم يمض غير فترة قصيرة من الوقت حتى بلغ أتباعها عدة آلاف انتشرت شعبهم فى سوريا وفى

العراق . ومع هذه الكثرة والذيوع والإنتشار لم يكن هدف جماعة المنتدى شيئا إلا محاولة تقريب وجهات النظر بين العرب والأتراك إذ أن الخلاف بين الفريقين كان يزداد تفاقما ، ولم يكن لها لذلك اتجاه قومى محدود . لم يجد الإتحاديون لذلك غضاضة فى تعضيد جماعة المنتدى لمدة من الزمن .

٤ ـ وأهم هذه الجمعيات جميعا كانت " **الجمعية العربية الفتاة** " التى تعرف اختصارا باسم "**الفتاة**" . وقد قامت هذه الجماعة بدعوتها سرا فى باريس فى سنة ١٩١١ ، بعد أن غيرت أسمها الذى نشأت عليه أول ما نشأت فى باريس فى نوفمبر سنة ١٩٠٩ ، وكان ذلك الإسم هو " جمعية الناطقين بالضاد " .

كانت الفتاة وقفا على عضوية المسلمين وحدهم وكان أعضاوها يختارون بحرص وعناية بالغين من بين المثقفين من الشبان . ولا بد أنهم كانوا دعاة قوميين لأنهم كانوا يؤمنون إيمانا مطلقا بإقامة دولة عربية مستقلة ولكنهم لم يصرحوا بذلك علنا كما يتضح ذلك من مبادئهم العامة التى أذاعوها فى قرارتهم التى اتخذوها فى المؤتمر العربى الذى عقد فى باريس سنة ١٩١٣ .

٥ ـ وهناك جماعة أخرى على جانب كبير من الأهمية هى " **حزب اللامركزيين العثمانى** " ، التى تألفت فى القاهرة سنة ١٩١٢ وكان جميع أعضائها من المسلمين إلا واحدا هو إسكندر عامون .

* * *

المؤتمر العربى فى باريس :

وكان نتيجة لتضافر الجهود بين جمعية الفتاة وحزب اللامركزيين أن عقد مؤتمر عربى فى باريس فى يونيو سنة ١٩١٣ . ويرجع الفضل الأكبر فى إقامة هذا المؤتمر إلى عبد الغنى الاريسى الذى كان فى الحقيقة أبرز الأعضاء وأشدهم نشاطا . وقد أبلى اللامركزيون فى هذا المؤتمر بلاء حسنا يحتمل أن يكون سببه ما كان من صداقة واحترام متبادل بين عبد الغنى الاريسى زعيم حـــزب الفتاة ورفيق العزم سكرتير حزب اللامركزيين . فلا عجب أن قرارات المؤتمر التى اتخذت فى باريس تبلورت فى جوهرها عن البرامج الإصلاحية التى رسمها حزب اللامركزيين منذ أربعة أشهر مضت قبل انعقاد المؤتمر .

وقد وجه المؤتمر العربى فى باريس اهتمامـــه إلى ما يجب إصلاحه أساسا فى الأمبراطورية العثمانية وإلى ضرورة اشتراك العرب فى الحكومة المركزية كما أوصى بضرورة جعل حكم محلى خاص بكل إقليم على حدة . وقـــد أكد المؤتمر ضرورة اتخاذ اللغة العربية أداة فعالة فى البرلمان فى قسطنطينية جنبا إلى جنب مع اللغة التركية وجعل الخدمة العسكرية فى الأقاليم المختلفة أمرا واجبا إلا فى الأحوال الإستثنائية الضرورية . ولم يفته كذلك التنبيه على ضرورة إصلاح الأحوال المالية لجبل لبنان وجعل ذلك موضع الإعتبار والأهمية .

ومن تصرفات المؤتمـــر الجديرة باللؤم كان بلاغ نباء القرارات العثمانيين والدول الأجنبية الصديقة لهم .

الحرب العالمية الاولى :

فى الثامن والعشرين من اكتوبر سنة ١٩١٤ وفى أثناء الحرب العالمية الاولى اختارت تركيا أن تنضم إلى جانب ألمانيا والنمسا ضد بريطانيا وفرنسا وروسيا ولقد وجدت بريطانيا وحلفاؤها فى هذه الحركة من جانب تركيا فرصة عملية لحل المشكلة الشرقية بتفتيت الدولة العثمانية وإزالة سلطان الأتراك الذى أصبح قوة ذات نفوذ فى مجال السياسة الدولية . حدث فى ذلك الوقت أن تفرقت الأقاليم الإفريقية العثمانية وتقسمت بين بريطانيا وفرنسا وإيطاليا ثم اتجهت نيات البريطانيين بعد ذلك إلى الأقاليم الآسيوية .

لم تكن تركيا تجهل حقيقة موقفها القومى والدولى فأسلمت قيادة العلياء للدفاع عن الأمبراطورية لألمانيا التى كانت قد أخذت منها عهدا عليه قبل أن تقرر دخولها فى الحرب . ثم عادت تركيا للعمل على توطيد سلطانها حيال الموقف الداخلى . فى نوفمبر سنة ١٩١٤ ألغت تركيا الإمتيازات واستعادت سلطتها الشرعية كاملة على جميع الأجانب والحمايات ثم خطت خطوة أخرى كانت ضرورة اقتضتها حالة الحرب وذلك بالسيطرة على الأقاليم الآسيوية بقمع حركات التمرد والعصيان التى كان يكيدها لها أعداؤها الأجانب فى الخارج والتى استفحل شرها خطرا وصار ظاهرا للعيان . ولهذا الغرض عسكر أحمد جمال باشا قائد الجيش الرابع فى سوريا ووطد عزمه بوصفه مؤمنا بمبدأ حزب الإتحاديين على أن يسحق جميع هذه الحركات سحقا تاما . ولم يكن خافيا عليه ما كان يهدف إليه اللامركزيون وأعضاء حزبهم كما لم يكن كذلك خافيا عليه أمر حزب الفتاة غير أنه لم يستطع إلا مصادفة أو باستخدام الحيلة أن

يكتشف أسماء قلة متناهية من أعضاء هذه الجماعة لأنها كانت ما تزال بعد منظمة سرية .

فى سنة ١٩١٥ شكلت محكمة عسكرية فى ألّى وهى بلدة فى لبنان على بعد ١٠ كيلو مترا إلى الشرق من بيروت . واسقرت المرافعات القانونية التى كان يمثلها نصف الأعضاء بها والمرافعات العرفية التى كان يمثلها النصف الآخر من الأعضاء عن إعدام عدد من الشبان من سوريا ومن فلسطين ومن العـــراق . وقد نفذ حكم الإعدام فيهم بالشنق فى بيروت وفى دمشق أما فيليب الخازن وأخوه فريد الخازن والقسيس يوسف الجائك فقد اتهم ثلاثتهم وهم مسيحيون من جبل لبنان بميلهم إلى ممالأة فرنسا أو على حد تعبير هنرى لامنز الأب السيوعى : كانت جريمتهم هى علاقة الولاء لفرنسا (٤١) وقد اتهم كذلك بعض المسيحيين من أمثال رفيق سلوم أيضا بعض من المسلمين بترويجهم دعايات ضـــد سلامة الدولة العثمانية ووحدتها ومحاولتهم تقطيع أوصال تلك الدولة .

كان تنفيذ الحكم بإعدام هولاء الشبان العرب هو الإيذان الصريح الأول بإفصال العرب عن الأتراك . وأصبحت القومية العربية التى لم تكن من قبل إلا مثالا يعتز به نخبة من بين العرب ويجهدون أنفسهم من أجل تعـــزيزه والإرتقاء به ، أصبحت الآن يتدفق تيارها بين جميع الطبقات المثقفة فى الأقاليم آلاسيوية . أما الشعور فى مصر فكان ما يزال على وجه الخصوص فى أساسه وطنيا وأما فى ليبيا تحت الإحتلال الإيطالى وفى تونس والجزائر ومراكش تحت الإحتلال الفرنسى فكان هناك محاولات متهورة من أجل الوصول إلى استقلال قومى ولكنها لم تنجح لكونها متفرقة محدودة .

بريطانيا و الشرق الاوسط :

لم تكد تركيا تنضم إلى جانب ألمانيا فى الحرب حتى برزت مشكلتان فى وجه بريطانيا على جانب كبير من التعقيد :

١ — كيف تستطيع بريطانيا أن تقنع رعاياها المسلمين بأن يديروا رحى الحرب ضد جيوش السلطان العثمانى الذى كان فى ذلك الوقت معتبرا بأنه خليفة المسلمين ؟

٢ — كيف تستيطع بريطانيا إذا ما تم لها النصر أن تدبر تقسيم الأمبراطورية العثمانية بما فيه إرضاء حلفائها من غير تعريض بمصالح نفسها للخطر .

ولما كانت هاتان المشكلتان لا يمكن فصلها عن بعضها أو تناولهما مستقلة إحداهما عن الاخرى ، فلهذا شرعت بريطانيا منذ عهد مبكر فى سنة ١٩١٤ تعالج الأحداث كلها فى وقت واحد . فقد اتصلت عن طريق غير مباشر وفى حذر ومكر بالشريف حسين فى مكة . ففى سبتمبر سنة ١٩١٤ نصح اللورد كتشنر ، سكرتير الدولة للحرب ، للسير هنرى ماكماهون ، المندوب السامى فى مصر ، بأن يقول لمستر رينولد ستورز ، سكرتير شئوون الشرق للوكالة البريطانية فى مصر ، بأن يعهد إلى رسول بحمل رسالة سرية إلى عبد الله ، ثانى أبناء الشريف حسين . وقد وقع اختياره على عبد الله لأنه كان ذات مرة قد زار اللورد كتشنر فى فبراير سنة ١٩١٤ حينما كان اللورد كتشنر مندوبا ساميا على مصر وعرفه هو ومستر استورز بالرغبة فى الثورة على تركيا إذا ما تعهدت بريطانيا له ولوالده بدوام ملك الحجاز لهم ولذريتهم من بعدهم وتموين الأموال والعتاد وتزويد الأسلحة اللازمة .

وقد استمرت المراسلات بين ماكموهن وعبد الله ما يقرب من سنة أفشى عبد الله فى خلالها كثيرا من جوانب المشكلة وتحدث فيها معه عن الثورة على الأتراك وعن تكوين دولة عربية وعن تعهد من الإنجليز فى هذا الصدد وعن المساعدات المادية وحتى الحدود لم يغفلها فقد تناولها و فصل الحديث فيها . ولكن الدبلوماسى البريطانى لم يورط نفسه بتقديم أى اقتراح فاصل فى الموضوع لأن هذه المرحلة كانت مهمة جدا بالنسبة إليه للتجسس فى الحقائق بحيلة ومكر .

وأخيرا عند نهاية المطاف انتقلت أخبار المراسلة إلى الشريف حسين الذى كانت تتوقف عليه وحده المسئوولية كلها . ومع أن عبد الله الذى صار فيما بعد ملكا على الاردن يؤكد لنا فى مذكراته الشخصية أن والده قد كان دائما على علم بتطورات الموقف ، ولكننا مع ذلك لا يسعنا إلا أن نفترض أن كثيرا من التفاضيل على الأقل لم يكن ليبلغ لوالده ، وذلك لسبب يسير وهو أن البريطانيين لم يستقر حتى ذلك الحين رأيهم على شئ جوهرى فى الموضوع . فيقول الملك عبد الله فى مذكراته (بيت المقدس ١٩٤٥ — ص ١٠١) أن مصريا اسمه على البزار أحضر إليه فى أوائل خريف سنة ١٩١٥ خطابا من مستر رنولد استورز ، بينما كان هو فى الطائف التى تقع شرقى مكة ، وفى هذا الخطاب يقول رينولد " . . . أما تزالون أنتم وصاحب السعادة والدكم على رأيكم من حيث اهتمامكم بإجراء ما يحقق استقلالا كاملا للعرب ؟ فإذا ما كنتم أنتم وسعادته ما تزالون حتى الآن ثابتين على رأيكم فإن بريطانيا تؤكد لكم ولسعادته أنها مستعدة لتزويد حركة العرب هذه بكل ما يلزمها " .

تحير عبد الله حيرة شديدة إذ يقول فى مذاكرته فى صفحة ١٠٢ :

"حملت الخطاب إلى أبي وأطلعته عليه فابتسم وقال : اكتب إليهم معلما إياهم أن كتابهم قـد ورد إلينا وأخبرهم بأننا لسنا مستعدين مطلقا فى الوقت الحاضر أن نقدم على أية محاولـة بخصوص تأمين حقوق العرب" .

أبلغ عبد الله رد والده على الخطاب فى الظاهر إلى ستورز على يد سفير كلفه خصيصا بهذا الأمر . أما لم يمض غير شهر على ذلك حتى بعث استورز برسالة إلى عبد الله أرفق بها خطابا لأبيه . أوصل عبد الله الخطاب إلى أبيه . وفى هذا الخطاب عمد استورز إلى تكرار خلاصة ما كان قد اخبر بـه عبد الله فى الخطاب السابق من كون تركيا قد اختارت أن تنحاز إلى جانب ألمانيا وأعداء بريطانيا وأن بريطانيا لذلك قد تحررت من جميع ارتباطاتها بتركيا وستفعل ما يخلو ببالها . فإذا ما كان الشريف حسين ما يزال ينزل استقلال العرب فى رأيه منزلة الإعتبار والأهمية فإن بريطانيا تؤكد استعدادها لتعضيد حركـة استقلال العرب بمدهم بكل ما يلزم لهذا الغرض . ولم يزد الشريف حسين فى تعليقه على هذا الخطاب إلا بقولـه لولده عبد الله أن يبلغ استورز ردا على رسالته بالمثل العربى المشهور : "الصيف ضيعت اللبن" أى العرض جاء بعد فوت الأوان . يقول عبد الله : " استمرت المراسلات الشهيرة بعد ذلك مع ماكموهن بدون انقطاع" .

والشريف حسين الذى أبى حتى تلك اللحظة (خريف سنة ١٩١٥م) أن يفكر فى الثورة على الخلافة الممثلة فى ذلك الوقت فى السلطان العثمانى حتى ولو كان تفكيره هـذا فى ذلك من أجل غرض نبيل هو تحقيق الإستقلال للعرب ، قد صار مضطرا فى ربيع سنة ١٩١٦ أن يعلن الثورة

ويجاهر بها ضد الإتراك العثمانيين . ومن المعترف به أن الإدارة العثمانية كانت قد فسدت وأن الإتحاديين الشبان الأتراك قد أساءوا إلى الشريف حسين وإلى اسرته الهاشمية وأن المشاعر القومية العربية كانت قد ابتدأت أن تتطور فى ميدانى الثقافة والسياسة وأن العرب لم يعطوا نصيبا من السلطان يتناسب مع قدرهم واحترامهم فى إدارة حكومات أقاليمهم . أمـــا كل هـــذه المآسى لم تكن تؤثر على إخلاص الشريف حسين وولائه لخليفة المسلمين السلطان العثمانى لو أنها حدثت قبل هذا بخمسين سنة ، ولكنه اندفع للثورة هذه المرة من أسباب وعوامل اقتصادية .

ولما أعيت بريطانيا الجبل تجاه عبد الله وبالتالى تجاه أبيـــه حسين سنـــة كاملـــة استنفدت فى خـــلالهـــا كل وسائل اللطف و اللباقـــة دون جـــدوى ، لجـــأت أخيرا إلى دهائها وكشرت عن أنيابها . كان الشريف حسين فى ذلك الوقت واليا من قبل تركيا على الحجاز الذى هو شريط قحل ممتد بحذاء الشاطئ الشرقى للبحر الأحمر . وكان الحجاز محكوما من جهة الشمال بمصر التى كانت محمية بريطانيا ومن جهة الجنوب بعدن المستعمرة الإنجليزية ومن جهة الشرق بالمملكة السعودية أما الشاطئ الإفريقى للبحر الأحمر من جهة الغرب فقد كان بأكمله واقعا تحت النفوذ البريطانى المباشر . يتضح من ذلك أن حصارا للحجاز لأشهر قليلة كان من شأنه حتما أن يميت سكانه جوعا غير أن الشريف حسين كان نبيلا مخلصا وكان رجلا ذا عزم إلا أنه مع ذلك كان شأنـــه شأن أى إنسان يصيبه الضعف والوهن أحيانا ، إذ قد وجد نفسه قـــد سيق إلى

الهاوية فأراد أن يتحايل على الموقف كأحسن ما يكون التحايل . فشرع بمكاتبة لينة ودية مع ماكموهن .

كان الثمن الذى طلبه حسين من الإنجليز لقاء قيامه بالثورة فى وجه الأتراك هو المساعدة له على إنشاء دولة عربية متحدة تضم شمل جميع الدول العربية الآسيوية تحت سلطانه مع معونة اقتصادية عاجلة أراد الحصول منها مبدئيا على الأشياء الآتية :

٥٠٠٠٠	جنيها استرلينيا ذهبيا	شهريا
٢٠٠٠٠	جوالا من الارز	شهريا
١٥٠٠٠	جوالا من الدقيق	شهريا
٣٠٠٠	جوالا من الشعير	شهريا
١٥٠	جوالا من البن	شهريا
١٥٠	جوالا من السكر	شهريا

وهذا بالإضافـــة إلى ٥٠٠٠ آلاف مسدس من الأنواع الحديثة مع الذخيرة اللازمـــة . وكانت هذه الأشياء جميعها مطلوبا توريدها على وجه السرعة الممكنة بقدر مستطاع ، أعد الشريف حسين زيادة على ذلك قائمة اخرى للأسلحة والذخيرة المختلفة الأنواع للتوريد فى المرة القادمة . من هذه يتبين لنا حقيقة الحالة الاقتصاديـــة فى الحجاز عند اندلاع ثورة العرب .

ولم تكن الحرب العالمية الاولى تضع أوزارها حتى تجاهلت بريطانيا كل تعهداتها للملك حسين وتنكرت له وضربت عرض الحائط رجاءاته وتوسلاتـــه إليه وسرعان ما سير الإنجليز والفرنسيون جيوشهم وقواتهم داخل الأراضى العربية الصديقة لهم كما لو كانت هذه الديار هى ديار

أعدائهم الذين ناصبوهم الحرب والعدوان على السواء .

فى الثامن من يناير سنة ١٩١٨ قام الرئيس وودرو ويلسن يتحدث أمام الكونجرس الأمريكى فأوضح أهداف الحلفاء من الحرب فى أربعة عشر بندا شاعت وعرفت باسم بنود ولسن الأربعة عشر . وينص البند الثانى عشر منها على ما يأتى : يجب أن تؤمن الأقاليم التى كانت أجزاء للإمبراطوريـــة العثمانيـــة تأمينا يضمن لهـــا سلطانا ذاتيا كاملا ، بمعنى أن القوميات غير التركية تصبح مستقلة استقلالا يضمن لها سلامتها وسيادتها الداخلية ـــــــ . ولكن هذا النص والنصوص الثلاثة عشر الاخرى التى أوصى بها ولسن تمشيا مع المثالية والإنسانية قد ضرب بها جميعا عرض الحائط بعد ما أقامت كل من بريطانيا وفرنسا قواتهما فى الأقاليم التى كانت منذ قليل تحت سيطرة الألمان والأتراك .

وفى الوقت الذى كانت بريطانيا تتعهد فيه للملك حسين بمساعدته على إقامة دولة عربية متحدة تجمع شتات البلاد العربية ، كانت من جهة أخرى فى نفس الوقت تدبر مع فرنسا مشروعا بإدخال جميع البلاد العربية الآسيوية تحت نفوذها وسلطانها الخاص . وفى هذه الآونة نفسها فى ٢ نوفمبر سنة ١٩١٧ حدث أن اللورد بلفور سكرتير الدولة البريطانى الذى هو يهودى المولد أعطى وعدا باسم الحكومة البريطانية بإقامة وطن قومى لليهود فى فلسطين .

ولما انعقد مؤتمر الصلح فى باريس ووجه بهذه المشكلات وغيرها دافع الأمير فيصل بوصفـــه ممثلا لأبيـــه فيه عن قضية العـــرب وسرد الأقـــوال المؤثرة والحجج المساعدة لـــه لبعض السياسيين الكبار فاستدل بما قاله الرئيس وودرو ولسن فى هذا الصدد .

وبعد أن جمع المؤتمر كل المعلومات ووجهات النظر المتضاربة فى هذا الشأن وافق أخيرا على اقتراح ولسن بأن يرسل إلى البلاد العربية لجنة لإستقصاء الحقائق على الفور .

وكان مؤتمر باريس فى ذلك الوقت قد اعترف ببنود ولسن الأربعة عشر التى يوصى الأخير منها بضرورة تأليف جمعية عامـــة للامم تخضع لمواثيق محددة واضحة يكون غرضها تزويد الدول صغيرها وكبيرها على السواء بالضمانات المتبادلـــة فى ميدان الإستقلال السياسى وتكامل الوحدة الإقليمية . ولقد وجد العرب فى ذلك مشجعا أى مشجع دفعهم إلى إعادة تأليف جمعياتهم وتنظيم أحزابهم السابقة من أمثال حزب **الفتاة والعهد** وإنشاء أحزاب جديدة كحزب **الإتحاد السورى** (القاهرة ديسمبر سنة ١٩١٨) وحزب **الإستقلال العربى** الذى اسس فى دمشق سنة ١٩١٩ ليكون ناطقا بلسان حزب **الفتاة** الذى ظل سريا ، وكالحزب **السورى الوطنى** (دمشق يناير سنة ١٩٢٠) والجمعية **العربية الفلسطينية** (بيت المقدس أول يونيو سنة ١٩٢٠) . وفى هذه الأثناء تألف الحـــزب **السورى الوسيط** من جملة المسيحيين السوريين المقيمين فى مصر . وقد نادى هذا الحزب بتكوين سوريا الموحدة تحت الإنتداب الامريكى .

وقبل حلول موعد حضور لجنـــة الإستفتاء العام إلى البلاد العربية الآسيوية دعا فيصل إلى مؤتمر عام ليعقد فى دمشق فى السابع من يونيو سنة ١٩١٩ . وقد حضر هذا المؤتمر ممثلون من جميع أنحاء سوريا ومن لبنان وفلسطين . وأهم قرارات هذا المؤتمر ما يأتى[٤٢] :

ـــ إستقلال سوريا استقلالا سياسيا تاما شاملا .

ـــ قيام حكومـــة ملكيـــة دستوريـــة فى سوريا على أساس حكم لا مركزى .

ـــ الإحتجاج على البند الثانى والعشرين من ميثاق عصبـــة الامم الذى يجعل البلاد العربية خاضعة لنظام الإنتداب .

ـــ إذا كان الإنتـــداب أمرا لا مفر منـــه فإن للعرب وحدهم حرية اختيار المعونـــة الفنية و الإقتصاديـــة إما من الو لايات المتحدة الأمريكية وإما من بريطانيا ، أما من فرنسا فلا بأية حال من الأحوال .

ـــ رفض طلب الصهيونيين بإقامة وطن قومى لليهود فى فلسطين . تنكرت بريطانيا وفرنسا لقرار اللجنة الأمريكية وضربت به عرض الحائط واحتلتا سوريا والعراق بدون وجه حق كما لو كانتا دولتين محاربتين لهما .

* * *

الآن وقفت القومية العربية على قدميها وكانت اولى مراحلها كفاحا مريرا ضد الإحتلال البريطانى والفرنسى ومقاومة حادة لتقطيع أوصال البلاد العربية وفصل بعضها عن البعض . ولكن الإستعمار كان شديد الوطأة إلى حد أنه استطاع أن يقطع أوصال الدول العربية وأن ينفث سمومه فيها إلا أنه لم يستطع أن يخمد الشعور الوطنى وأن يقضى على الآمال القومية وقد جلا البريطانيون عن شمال سوريا فى نوفمبر سنـــة ١٩١٩ لصالح فرنسا .

كان المؤتمر العربي العام الذى عقد فى دمشق فى ٨ مارس سنة ٩١٢٠ والذى نودى فيه بتنصيب فيصل ملكا على سوريا المتحدة هو أول حركة سياسية موجهة ضد فرنسا . وقد أعلن ممثلو العراق فى هذا المؤتمر فى نفس الوقت أن العراق دولة مستقلة كما نادوا بأن يكون عبد الله أخو فيصل ملكا عليها . ولكن لما كان عبد الله غير حاضر فقد اختير أخوه زيد ليقوم مقامه مؤقتا . ولكن بريطانيا رفضت أن تعترف بعبد الله ملكا على العراق . وحاول عبد الله بالتأثير على أبيه الشريف حسين ليسانده فى الحصول على هذا العرش ، ولكن بريطانيا فى ذلك الوقت لم تكن فى حاجة بعد إلى الشريف حسين لكى تلزم نفسها بإسداء أى فضل أو معروف إليه . وكان من نتيجة ذلك أن اختصم عبد الله مع أبيه ورحل إلى معان فى شمال الحجاز مؤملا أن يجد حلا لمشاكله .

فى ٢٥ ابريل سنة ١٩٢٠ عهدت عصبة الامم إلى بريطانيا وفرنسا بالإنتداب على العراق وشمال سوريا . ثم نشبت ثورة فى العراق ضد البريطانيين وبعد أن سقط فى المعركة بين كلا الجانبين حوالى ٢٠٠٠٠ من القتلى وافقت بريطانيا على منح العراق استقلالا رسميا مع تشكيل وزارة فى ٢٢ اكتوبر سنة ١٩٢٠ تكون مهمتها وضع النظام الدستورى المناسب الذى ستتبعه الحكومة مستقبلا .

وقد بذلت فرنسا كل جهودها لتنفيذ انتدابها فى سوريا فسيرت الجنرال جورود إلى دمشق حيث اشتبك مع قوات الملك فيصل العربية فى معركة حامية فى موقعة مايسلون على بعد ٢٠ كيلومتر غرب دمشق وهزمهم فى بضع ساعات . وبعد أربعة أيام من ذلك فقد الملك فيصل

عرش سوريا وصارت لفرنسا السيادة المطلقة على الأراضى التى منحتها إياها اتفاقية سايكس بيكوت والتى عهد إليها الإنتداب عليها من قبل عصبة الامم .

ثم رأت بريطانيا أنه عمل فى صالحها ويعود عليها بالخير والفائدة أن تظهر للعرب شيئا من التفصل والتودد مؤملة بذلك أن تبقى العراقيين تحت سلطانها وفى قبضتها . فعرضت على فيصل عرش العراق الذى قبله ونودى به ملكا فى ٢٣ أغسطس سنة ١٩٢١ ، إلا أن السلطة الحقيقية الفعلية ظلت لوقت طويل فى أيدى المستشارين البريطانيين الأعضاء فى مجلس الوزراء يشركهم فى ذلك الملك فيصل وحده . وقبل ذلك بخمسة أشهر فى ٢٨ مارس سنة ١٩٢٣ استعملت بريطانيا عبد الله أخا فيصل حاكما على قطاع الاردن أو الإقليم الواقع شرقى نهر الاردن غير أنـــه كان خاضعا لإشراف المندوب السامى البريطانى لفلسطين . وفى ٢٤ يوليو سنة ١٩٢٢ صار قطاع الاردن وفلسطين رسميا إقليمين داخلين فى دائرة الإنتداب البريطانى .

وإنه لمما يثير العجب والدهشة حقا أن نجد أن الملك حسين الذى جاهر بالثورة على إخوانه المسلمين الأتراك من أجل أمل هو توحيد العرب فى دولة مستقلة ، قد اجبر على الخضوع لحل جائر . فقد ظل كما كان من قبل حاكما على الحجاز ولم يزد عليه شئ إلا لقب ملك وحده ، وأما ابنه فيصل فقد أصبح ملكا على العراق وكذلك صار ابنه الآخر عبد الله أميرا على قطاع الاردن . وأما بقيـــة الأراضى العربية فانقسمت إلى أجزاء وجزئيات بين بريطانيا وفرنسا وتسلط حكمها عليها مباشرة دون مراعاة لعهودهما التى أخذتاها على عاتقيهما للملك حسين

من قبل قيامة بالثورة . وقال الملك حسين نفسه فإنه قد خدع فى هذا الأمـــر . ولعل السبب فى ذلك أنه لم تكن عنده خبرة سياسية بمعناها الحديث الزائف وزيادة على ذلك فهو عربى لا يعرف مدارة أو نفاقا فقد تقبل كلمة الشرف على وجهها الصحيح .

فى سنة ١٩٢٥ أجبرت بريطانيا الملك حسينا على أن يتنازل عن إقليمى معان والعقبة لابنه عبد الله أمير قطاع الاردن . والواقع أن هذه المنطقة كانت بمثابـــة امتداد لنفوذ البريطانيين فى قطاع الاردن وفى فلسطين على الخصوص . ولم تقف بريطانيا عند هذا الحد فقد تجاوزته إلى محاولـــة إكراه الملك حسين على التوقيع على معاهدة من شأنها أن يعترف بالحالـــة الراهنة فى شبه الجزيرة العربية أى بسلطان البريطانيين على أمارات الكويت والبحـرين وقطر وعمان وعـــدن وغيرها . وكان طبيعيا أن يرفض الملك حسين ذلك الأمـــر فتنازل عن العرش لابنه على وغادر البلاد حيث أقام بالعقبـــة ، غير أن تنازله عن العرش وتركه البلاد لم يغير شيئا فى الموقف مطلقا .

ثم أرادت بريطانيا أن تسلب عليا الضعيف ما أخفقت فى نيله غصبا من حسين الحازم . وحاولت إبعاده بكل طريقة ممكنة ، وحتى مقامه فى العقبـــة التى تنازل عنها لولده عبد الله إن طوعا وإن كرها فلم يرق فى نظرها وسرعان مـــا طلبت إليـــه أن يغادر ميناء قطاع الاردن فسيق حسين إلى مستعمرة قبرص فى يونيو سنـــة ١٩٢٥ . وفى ديسمبر من نفس السنة أسلم على الحجاز لابن سعود وغادر البلاد إلى بغداد حيث عاش فى بلاط قصر أخيه فيصل .

* * *

ولكى يمكن تكوين فكرة واضحة تامة عن المقدمات الاولى لسير القوميـــة العربية يجدر بنا أن نعود إلى إلقاء نظرة سريعة على النضال السياسى فى شمال إفريقية .

هناك فى شمال إفريقية اعتقاد سائد بأن سكان هذه المنطقة يتصلون بنسبهم إلى قحطان الجـــد الأول لعرب الجنوب . وعلاوة على ذلك فإن شمال إفريقية قد خلص من اضطهاد البيزنطيين على أيدى العرب أيام الفتوح الإسلامية الاولى . ولم يمض خمسون عاما على ذلك حتى اعتنق جميع سكان شمال إفريقية الإسلام . ونتيجة لذلك فإن تفكير شمال إفريقية هو إسلامى أكثر مما هو عربى فيفكر مسلموها فى اصطلاح الإسلام اكثر مما يفكرون فى اصطلاح العروبة .

وبعد انقضاء دهر حوى تاريخا سياسيا مجيدا وسيادة فى الإقتصاد والحرب والثقافة ، سقطت الجزائر وتونس ومراكش ضحيات للإستعمار الفرنسى فى سنة ١٨٣٠ ، ١٨٨١ ، ١٩١٢ على التوالى . وكانت الدعامتان اللتان يعتمد عليهما الإستعمار الفرنسى هما محو نظام التربية والتعليم القوميين وتقويض الحياة الإقتصاديـــة القومية . ونذكر على وجه الخصوص فى الجزائر أن المدارس الفرنسيـــة قد اسست هناك من أجل المهاجرين الفرنسيين ، غير أن عددا قليلا جدا محدودا من المسلمين كانوا أيضاً يتعلمون بها ومع ذلك فإن فـــرنسا تسامحت فى جعل مكـــاتب تحفيظ القرآن الكريم (les ecoles coraniques) تستمر فى أداء رسالتها ،

حيث كان الأطفال يتعلمون عناصر الثقافة الأربعة الأولية وهى القراءة والكتابة والحساب والدين ولم تزد وسائل التعليم فى هذه المكاتب عن المصحف واللوح الخشبى حيث كان الطفل ينسخ الآيات من المصحف ليكون هذا النسخ بمثابة تثبيت لمعرفته بالكتاب الكريم ، وليكون عونا له كذلك على تحسين خطه ، ويساعده فى تعلم القواعد النحوية والنصوص الأدبية العربية وحل المسائل الحسابية الإبتدائية . هذا النظام التعليمى التربوى المضغوط إلى أقصى حد مع كونه الأساس البالغ الأهمية ، كان كافيا لحفظ الإسلام واللغة العربية وجعل الصراع ضد الظلم والإستعمار حيا طيلة أربعة أجيال كاملة . وفى الحقيقة كان ما ظنت فرنسا أنه بدائى ومتخلف لا ضرر منه على نفوذها الإستعمارى كان على جانب عظيم من الأهمية لأنه هو القوام الأساسى لحياة المسلمين .

والحق يقال أنه لا ينبغى أن يحط من قدر المجهودات الثقافية التى كانت تبذل على أيدى اللجان المتعددة وخاصة جمعية العلماء المسلمين جنبا إلى جنب مع المجهودات التى كأن يبذلها الأفراد كلما سنحت فرصة لمغادرة الجزائر إلى تونس حيث يلتحقون بجامعة مسجد الزيتونة ، الأمر الذى رفع شأن اللغة العربية والدراسات الإسلامية .

استمر الصراع من أجل الحرية فى الأقاليم الثلاثة بفضل الحركات الإسلامية والأحزاب السياسية والثورة . ولا تزال قصة البطولة فى كفاح الجزائر وحروبها ضد فرنسا مضرب المثل مما لا داعى مطلقا إلى إعادة ذكره أوالتلميح إليه لأنه جد مقرر معروف مشهور . ولقد ساعد الكفاح

الوطنى والأحداث الدوليـــة كلا من تونس ومراكش فى الحصول على استقلالها فى سنة ١٩٥٦ ، أما الجزائر فقد ظلت فى كفاحها ونضالها حتى نالت استقلالها فى سنة ١٩٦١ .

* * *

ومهما يكن من شئ فإن أية فكرة فلسفية أو أية حركة اجتماعية تجد سبيلها إلى الميدان الأدبى ويدل ذلك فى نفسه دلالة صريحة على أنها قد صادفت هوى فى النفوس وصارت لذلك أكثر ذيوعا وأشد انتشارا، فبعد أن اعلن الدستور العثمانى أخيرا فى سنة ١٩٠٨ ألف سليم الجزائرى الذى يدل اسمه على أنه جزائرى الأصل والذى هو مواطن سورى ، قصيدة يتفاخر فيها بكون شعبه من " أولاد قحطان العظيم الذى هو جد العرب" . أما لم تبلغ هذه القصيدة حد الذيوع و الشهرة اللذين بلغتهما قصيدة فخرى البارودى السورى هو الآخر أحد مواطنى دمشق فى سنة ١٩٢٤ يتباهى فيها الشاعر بوسعة " الوطن العربى الذى يمتد من نجد إلى اليمن ومن مصر إلى مراكش " .

وقد أنشد أمير الشعراء أحمد شوقى المتوفى سنـــة ١٩٣٢ قصيدة من أروع أنا شيده يخاطب بها الثقافة القومية واللغـــة العربية التى " لا تزال توحد العرب مهما اختلفت أوطانهم " .

نشأت فيما بين ١٩٢٠ و ١٩٥٠ أغلبية الأحزاب وتكونت بالمعنى الحديث للكلمة ، ففى سنة ١٩٢٢ نشأ أقدم الأحزاب وهو الحزب الشيوعى الذى يناهض الدين ويناهض القومية وهو علاوة على ذلك يقتفى أثر الحزب

الشيوعى الفرنسى ويدين بعقائده وعقائد الاتحاد السوفيتى فى كل شئ من الوجهة السياسية عموما .

أما الحزب القومى العربى الأقدم الذى يدين بعقائد ومبادئ القومية فكان " **عصبة العمل القومى** " الذى نشأ فى بيروت وكان أنصاره ومريدوه من لبنان وسوريا الواقعتين تحت الانتداب الفرنسى قليلين محدودى العدد. وقد اطلق على أعضاء هذا الحزب اسم **القوميين العرب** . وكان دستور هذا الحزب يتبلور فى ثلاث نقاط هى :

١) أن العرب جميعهم يؤلفون امة واحدة ، و
٢) أن غرض الحزب الأساسى هو أن يرى فى المستقبل حكومة واحدة تضم العرب جميعا ، و
٣) أن القومية العربية تتعالى على كل المشاعر الدينية فهى لا تعرف الطائفية ولا القبلية ولا الارستقراطية ولا الإقليمية .

إنضم حزب **عصبة العمل القومى** إلى حزب أحدث عهدا هو **حزب النداء القومى** الذى كان أهم مبادئه هو ضرورة جعل لبنان دولة مستقلة . وقد شجع أعضاء حزب العصبة على ارتكاب هذه المخالفة لمبادئ حزبهم أملهم فى أن يشترك أعضاء الحزب الموحد فى إدارة الحكومة المحلية ونتيجة لذلك فلم تكسب القومية العربية فى وسط القدامى والمحدثين من أعضاء الحزبين الموحدين إلا شبحا باهتا .

وقد شهدت السنوات الاولى من العشرة الثالثة نشأة الحزب السرى المعروف **بالحزب السورى القومى** . وكان هدفه هو خلق ولاية مستقلة

من سوريا الطبيعية ذات نظام اجتماعى ممتاز بارتباطها مع تركيا فى الشمال والعراق فى الشرق وشبه الجزيرة ومصر فى الجنوب . ثم حدث فيما بعد أن اضيف العراق فى سنة ١٩٣٨ إلى سوريا الطبيعية . هذا الحزب الذى ما يزال على قيد الوجود يعمل على وجه الإطلاق ضد القوميـــة العربية وضد الإسلام معا على السواء . ويحتج أتباع هذا الحزب لمذهبهم الذى اختاروه بالأحوال والظروف السائـــدة فى سوريا . فإن السوريين لا ينتمون إلى أصل واحد أو سلالة معينة إنما هم ينتمون إلى سلالات وأجناس متعددة منها البابليون والأشوريون والآراميون والإغريق و العرب وغيرهم . فالعرب لا يمثلون فى سوريا غير قسم واحد فقط فيحب لذلك أن تحسب سوريا للسوريين لا للعرب . والصحيح الذى لا شك فيه أن هذا الحزب لا دينى ولكنه مع ذلك يتسامح فى شأن اليهودية والمسيحية على أساس أنهما من أكبر الديانات والعقائد التى هبطت أول ما هبطت على سوريا . ومن جهة أخرى فإنه يعتبر الإسلام دينا دخيلا على سوريا ، وأما اللاإلاهية التى هى لسوريا خاصة فأيضا يتسامح بها هذا الحزب .

نشأ الحزب القومى السورى أول ما نشأ على هيئة منظمة شبـــه عسكرية التى ضمت ضمن كيانها دون شك عناصر ألمانية إيطالية فاشستية جعلت هذه المنظمة خطرا يهدد سلامة النظام الفرنسى السائد فى سوريا ولبنان ، و ردا على ذلك فشجع الفرنسيون من جانبهم قيام منظمة أخرى منافسة لهذا الحزب هى **الكتائب** ، التى كانت فى الواقع تعبيرا عن الفيلانجيست (Philangistes) الفرنسى وتقليـــدا مأخوذا عن الحزب القـــومى الأسبـــانى الـــذى أسسه جوز انتونيو بريمو دى ريفيرا

(Jose antonio Primo de Rivera) فى سنة ١٩٣٣ ومعنى (Phalanx) فى الأصل هو النظام العسكرى الدقيق الذى كانت تتبعة القوات والكتائب الإغريقية ذات الأسلحة الثقيلة .

دافعت **الكتائب** عن القومية والجنس اللبنانيين وتصدت للقومية العربية وذلك بسبب أن وحدة العرب لن تترك مجالا لوجود لبنان المستقل وأما اللغة العربية فى نظر الكتائب فلا تعدو أن تكون أكثر من وسيلة للمحادثة والتعبير .

فى نفس هذه الفترة من العشرة الثالثـــة تكون حزب **النجادة** أو الجوالة من الكشافة المسلمين . وتطورت هذه الجماعة فيما بعد إلى حزب سياسى بتنظيم شبه عسكرى وكان هدفها هو مناهضة **الكتائب** وكانت **النجادة** تصدر صحيفة يومية اسمها **صوت العروبة** لأنها تدين بدولة موحدة لجميع العرب .

وفى هذه الأثناء شهدت كل من العراق وسوريا قيام عدد من الأحزاب القومية التى كان من أعظمها أهمية **الحزب الإشتراكى العربى** و **حزب البعث** و **جماعة القوميين العرب** الذين أطلقوا على أنفسهم صفـــة القيام بحركة فى هذا الشأن . وقد نشأت جميع هذه الأحزاب أصلا فى سوريا ثم حدث فيما بعد أن اتحد الحزب الاجتماعى العربى مع حزب البعث واختارا لنفسيهما بعد الاتحاد اسم **حزب البعث الإشتراكى العربى** .

وعلى الرغم من اختلاف النظريات بين البعثين و القوميين العرب فإنهم متفقين على نقطتين هما : أنهم يعلمون ضد الإسلام متسامحين فى نفس الوقت فى شأن الديانات والعقائد الاخرى . وهم يصرون على جعل القومية العربية شعارا قوميا لجميع الشعوب الناطقة بالضاد و

أما الجماعات والأفراد الذين يتكلمون العربية وهم فى نفس الوقت يعلنون على الملأ أنهم ليسوا عربا فهولاء فى نظرهم عرب ولكنهم مرضى القلوب ويجب أن توجه العناية إليهم وأن تحمل مصيبتهم أملا فى شفائهم يوما ما من علتهم ورجوعهم إلى الإحساس السليم . وأما الإسلام بوصفه حركة من الحركات فى رأيهم فهو ليس إلا عملا من الأعمال الجليلـــة التى تمت على أيدى العرب . وأما كون الإسلام دينا فهو ظاهرة من ظواهر الماضى وحده ويجب أن تحل أساليب الحياة الغربية محل الإسلام فى المجتمع العربى .

قضيـــة فلسطين :

فى ٢٩ نوفمبر سنة ١٩٤٧ أوصى المجلس العام للامم المتحدة بتقسيم فلسطين إلى منطقتين منطقة عربية وأخرى يهودية وفقا لمشروع تم سابقا لم يرضى منه العرب ورفضوه رفضا باتا ولم يوافقوا عليـــه بسبب أن الأراضى كلها كانت عربيـــة وأن الهجرات اليهودية إليها كانت غير شرعية . أما شجع اليهود فى أثناء الانتداب البريطانى بكل الوسائل على الإقامة والاستقرار بينما قوبلت كل حركة من جانب العرب بالعرقلة والإحباط المتعمدين .

وفى مايو سنة ١٩٤٨ انتهى أمد الانتداب البريطانى . وقد كان من نتائج التلاعب السياسى البريطانى والشناعات التى ارتكبت من جانبهم فى ذلك الوقت فى الأيام الاولى التى تلت انسحابهم من هناك أن اضطر العرب إلى الهجرة والنزوح عن ديارهم .

عبرت الجيوش العربية فلسطين لتعيد الحقوق العربية إلى نصابها

بتحقيق نجاح حربى فى هذا الصدد ولكن حيل بينهم وبين ما يشتهون بسبب مكائد الإنجليز والأمريكان ودسائسهم وبسبب خضوع بعض حكام العرب للتأثير البريطانى فشل سياسى وحربى معا . وقـد عانت القومية العربيـة فى أثناء القضية الفلسطينيـة وبعدها أشد المعاناة وأقساها .

الإخوان المسلون :

كانت جماعة الإخوان المسلمين حركة شبه عسكرية بدأ القيام بها الشيخ حسن البنا (١٩٠٦ ـ ١٩٤٩) فى مصر فى سنة ١٩٢٨ وكان غرض هذه الحركة هو تنشئة الشباب المسلمين وفقا لمبادىء الإسلام و اتخاذ حصن منهم للدفاع به عن الإسلام الذى هو نظام اجتماعى ودستور سياسى فى نفس الوقت .

تطورت الحركة تطورا سريعا وتحولت إلى منظمة وذاع شأنها فى كل مكان وبلغ عدد أعضائها مليونا فى سنـة ١٩٤٨ وصار لها من الفروع والشعب فى مصر وحدها ألف شعبة وفرع . وقد تجاوزت هذه الفروع والشعب حدود مصر إلى العالم العربى مبتدئة من دمشق فى سنة ١٩٣٧ وسرعان ما تعددت وزاد عددها زيادة فائقة وأصبحت شديدة البأس والسطوة .

وقد رئيت خطورة هذه المنظمة من جانب البريطانيين ومن جانب فاروق الأول ملك مصر فى ذلك الوقت فحلت فى الثامن ديسمبر سنة ١٩٣٨ . ولم يمض عشرون يوما بعد ذلك على حلها حتى اغتيل النقراشى باشا رئيس الوزراء المصرى المسئوول عن حل المنظمة وعن هزيمة العرب

فى فلسطين . وفى ١٢ فبراير سنة ١٩٤٩ قتل الشيخ حسن البنا ، ولا شك أن قتله كان انتقاما وأخذا بثأر النقراشى باشا .

الانقلاب السورى

فى أواخر مارس سنة ١٩٤٩ ثار حسنى الزعيم القائد العام للجيش السورى على النظام الذى كان قد وضعه شكرى القوتلى من قبل وأحل محله نظاما عسكريا للجمهورية السورية . ولم يعمر هذا النظام طويلا إذ سرعان ما ثار عليه سامى الهناوى وأنهاه . جاء بعـــد ذلك الشيشكلى (١٩٥١ ــ ١٩٥٤) فوضع نظاما استقرت بـــه أحوال سوريا وصارت أقوى وأحسن حالا من ذى قبل .

الثورة المصرية :

كانت الثورة المصرية التى وقعت فى ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ محلية ووطنية خالصة ولكنها سرعان ما تحولت لتكون التعبير الحقيقى عن القومية العربية فى كلتا ظاهرتيها الثقافية والسياسية . كان السبب المباشر لهذه الثورة هو وضع حد للاستبداد والفساد وعدم العدالة الاجتماعية فى مصر ، غير أن هزيمة فلسطين واحتلال البريطانيين لمصر زادت الأمر حدة . وكان قادة الثورة فى بادئ الأمر قانعين بخلع الملك فاروق و رحيله عن البلاد . وعلى الرغم من أن أحمد فؤاد الثانى الابن الوليد لفاروق نودى به ملكا على مصر إلا أن مجلس الثورة ظل يحكم مصر مهيمنا على شئوونها .

الإخوان المسلمون والثورة :

واجهت جماعـــة الإخوان المسلمين بعد اغتيال حسن البنا الفتن والاضطرابات وعندما اختير حسن الهضيبى فى اكتوبر سنة ١٩٥١ رئيسا

لهذه المنظمة لم يتحسن الموقف وتعدى الأمر ذلك أن اتسعت رقعة الخلاف سريعا بين الجماعة وبين مجلس الثورة نتيجـــة لاختلاف وجهات النظر المتعددة بينهما فى مسائل شتى .

وفى ١٨ يونيو سنة ١٩٥٣ الغيت الملكية فى مصر واعلنت الحكومة الجمهورية برئاسة الجنرال محمد نجيب ومنذ ٢٧ ابريل سنة ١٩٥٣ كانت المحادثات الإنجليزية المصرية بشأن إجلاء القوات البريطانية عن قنال السويس تسير سيرا حثيثا . وكان محمد نجيب يقوم بهذه المحادثات مستقلا على وجه التقريب . وكان يبدو كذلك أن خلافات اخرى فى الرأى كانت قـــد نشبت بين أعضاء مجلس الثورة ، الأمر الذى ترتب عليه نشوء معركة صامته هنالك . أما الإخوان المسلمون الذين اتصلوا بالبريطانيين أو الذين اتصل البريطانيون بهم بشأن مسألة منطقة قتال السويس فقد انحازوا فى إصرار إلى جانب محمد نجيب أو بعبارة أصح تذرعوا بمساندتهم إياه إلى بسط سلطان منظمتهم .

وفى ١٤ يناير سنة ١٩٥٤ اعلن حل جماعة الإخوان المسلمين وقد اضطر محمد نجيب بسبب اختلافات داخلية بين أعضاء مجلس الثورة أن يتنحى عن منصبه ، ليؤلف جمال عبد الناصر الوزارة فى ٢٥ فبراير غير أن الإخوان المسلمين أثاروا هياج الشعب وحرضوا المتظاهرين على الانتشار فى الطرق والشوارع ، فلم يمض ثلاثة أيام حتى اعيد محمد نجيب إلى سابق منصبـــه فى ٢٨ فبراير . وبعد ١٢ يوما رأى جمال عبد الناصر أنه من الحكمة أن يتنحى عن منصبه فى رئاسة مجلس الوزراء وعضوية مجلس الثورة .

ومع ذلك لم يمض غير قليل حتى تغير الموقف برمته تغيرا مفاجئا : فقد قرر العمال الإنضمام إلى مجلس الثورة وبدأت وطأة الإخوان المسلمين على الجماهير أن تخف .

وفى أواسط يونيو سنة ١٩٥٤ ابتدأ حسن الهضيبى دورة سياحية حول الأقاليم العربية الآسيوية يبغى بها تكوين جبهة ضد مصر فلم يستجب لـــه غير سوريا . وفى ١٢ سبتمبر بعد مضى شهر تقريبا من عودة الهضيبى إلى مصر ابتدأت المقالات والنشرات تصدر فى دمشق حاملـــة هجمات قاسية ضد جمال عبد الناصر . وقد نجح الإخوان المسلمون الدمشقيون فى جمع عدد من أقطاب السياسية والسياسيين حولهم . وقد حملت لافتات المظاهرات التى اجتاحت دمشق من أولهـــا إلى آخرها صيغا وعبارات متمثلة فى الأحزاب السورية المتعددة التى احتل قادتها وأعضاؤها البارزون المناصب والوظائف العليا فى الجمهورية العربية المتحدة غداة اتحاد سوريا ومصر لأول مرة .

حدث فى مصر أن كون الإخوان المسلمون خلية تلعب من وراء الستار . فى ١٢ اكتوبر سنة ١٩٥٤ بعد توقيع اتفاق قنال السويس باسبوع حاول محمود عبد اللطيف أن يغتال جمال عبد الناصر وقد كانت محاولته الفاشلة هذه سببا فى كشف هذه الخلية الخفية . وفى أول نوفمبر سنـــة ١٩٥٤ شكلت محكمة عسكرية لمحاكمة أعضاء هذه الخلية السرية وحدث فى هذه الأثناء أن تفاقم أمر الخلاف والفتنة بين أعضاء مجلس قيادة الثورة ففى ١٦ نوفمبر عزل محمد نجيب نهائيا وبصورة قاطعة وفى ٧ ديسمبر ثبتت الجريمـــة على ستـــة من أعضاء الجهاز السرى واعدموا جميعهم شنقـــا .

وفى نفس هذا اليوم المشئوم ـــ أول نوفمبر سنـــة ١٩٥٤ ـــ بدأت حرب جماعية فى الجزائر ضد جيش فرنسى بلغ تعداده نصف المليون من الرجال المزودين بأحدث الأسلحة والعتاد من حلف الإطلنطى وزيادة على ذلك فقد وقف إلى جانب هـــذا الجيش ما يقرب من المليون من المستعمرين المدنيين الفرنسيين وكلهم مدججون بالسلاح يساندونه فى مواقع حصينة فى المدن وفى الريف على السواء وقـــد تمت لهم السيادة على كل شئ . ولم يكن للجزائريين من نصير فى هذه المعمعة الحامية الوطيس غير التشجيع المعنوى والمدد المادى الذى يأتيهم من الدول العربية والإسلامية على السواء إلا أن العبء الأكبر فى هذه المحنـــة قد وقع على كاهل الحكومة الثورية المصرية التى عرفت فيما بعد بالجمهورية العربية المتحدة .

وقد حصلت ليبيا على استقلالها فى نهاية سنة ١٩٥٠ ولكنها لم تدخل هيئة الامم حتى سنة ١٩٥٥ . أما السودان فقد حصل على حكومة ذاتية فى سنة ١٩٦٤ ثم نال استقلاله كاملا بعد ذلك بسنتين وأما مراكش وتونس فقد استقلتا فى سنة ١٩٥٦ وازيلت الملكية فى تونس فى يوليو سنة ١٩٥٧ .

* * *

وبدافع من أمل فى صد تيار القوميـــة العربيـــة الجارف لجأت بريطانيا إلى تكوين حلف بغـــداد الذى تم التوقيع عليـــه فى بغداد فى ٢٤ فبراير سنة ١٩٥٥ واشترك من الدول الأعضاء فيه العراق و تركيا ثم لحقت بهما فيما بعد إيران والباكستان . أما الولايات المتحدة

الامريكية فساندت الحلف وعضدته ولكنها لم توافق على المشاركة فيه . وأما الملك حسين ملك الاردن والرئيس شمعون فى لبنان فقـــد ساندا الحلف من كل قلبيهما ومشاعرهما ولكنهما لم يجرآ أن يفاتحا قومهما فى شأن عضويتهما فيه وقد كان خالد العظم رئيس وزراء سوريا على شفاء الدخول فيه إلا أنه طرح بعيدا عن الحكم وحيل بينه وبين ما يتشهى قبل أن يقدم على تنفيذ غرضه .

وتعتبر بحق سنة ١٩٥٦ حجر الزاوية فى تاريخ العرب الحديث ففى ٢٦ يوليو أعلن جمال عبد الناصر تأميم قناة السويس وكانت هذه الحركة فى الواقع من جانبه تحديا للإستعمار وقد حرمت إسرائيل رمز الإستعمار الغربى فى قلب البلاد العربيـــة من العبور خلال هذا المرفق المائى الحيوى فى هذه المنطقة . وقد صادفت القومية العربية بهذا العمل قوة دفع هائلـــة إلى الأمام وصار جمـــال عبد الناصر لذلك بطلا لا يجارى فى التاريخ العربى .

وقد دبرت بريطانيا هجوما على مصر فى هذه الحالة وقد اعينت إسرائيل وزودت بكل الوسائل والإرشادات لتكون البادئة بهذه الحرب مع مصر . وفى التاسع والعشرين من اكتوبر سنـــة ١٩٥٦ توغلت جيوش إسرئيل فى الأراضى المصرية إلى بعد قدره مائة ميل وفى اليوم التالى أرسلت بريطانيا وفـــرنسا إلى مصر وإسرائيل على السواء إنذارا بضرورة إيقاف النار وانسحاب كل منهما مسافة مائة كيلومتر بعيدا عن ضفتى القنال على التوالى . وكان طبيعيا أن ترفض مصر أن تذعن لهذا الإنذار . فكان رد فرنسا وبريطانيا فى الحادى والثلاثين من أكتوبر

أن هاجمت كلتا قوتيهما معا مدينة بور سعيد برا وبحرا وجوا فى آن واحد أملا فى احتلال منطقة قنال السويس كلها احتلالا كاملا فى مدة لا تزيد عن اثنى عشر يوما . ولكن المقاومة المصرية العنيفة العنيدة وتعطيل الملاحة فى القنال بإغراق بعض السفن فيه وسد مجراه وتحطيم خطوط البترول وأنابيبه فى الصحراء السورية وإنذار الإتحاد السوفيتى الموجه إلى إيدن فى الخامس من نوفمبر ، كل ذلك أرجع المعتدين إلى صوابهم . ثم تلا ذلك فى اليوم التالى توقف إطلاق النار عموما و كتب النصر لمصر وباءت إسرائيل بالفشل والخيبة كما أن الدبلوماسية السوفياتية فازت بالحظوة بين بعض بلدان العالم العربى ضد حكومات الغرب وسلطانه .

* * *

والآن بعد ما انتفضت سوريا انتفاضتها فى صراعها الداخلى وبعد ما اقضت إسرائيل مضجعها بمناوشاتها على الحدود الغربية وبعد ما قاست كثيرا بسبب الهرجلة التى أحد ثتها ثلاثة انقلابات متوالية ، وجدت من الحكمة أن تقترب من جمال عبد الناصر لتأليف وحدة بين مصر وسوريا . ولقد شجع حزب البعث هذه الخطوة على أمل أن تكون له السلطة العليا فى تصريف شئون الإقليمين فيما بعد باعتباره حزبا منظما . وبعد محادثات طويلة مستفيضة فى القاهرة اسفر الأمر عن إجراء استفتاء فى كل من مصر وسوريا . وقد كانت أغلبية الأصوات متفقة على الوحدة فى جمهورية عربية تحت قيادة جمال عبد الناصر .

ولم يمض غير قليل على اتحاد البلدين حتى هب الأعضاء المختلفون للأحزاب والوجهاء والطبقة الممتازة فى مدينة دمشق على وجه الخصوص يدعون بأن الإتحاد قـــد تم فى عجلة دون أن يأخذ حظا كافيا من الدراسة والتمحيص ، وزيادة على ذلك فقـــد تناولوا بالنقد العيوب والنقائص الكائنة فى الإدارة . وكان ما يزال الكيان التجارى والصناعى لسوريا فى أيدى أفراد أوشركات محدودة وهو يعتمد على سهولـــة النقل والوسطاء ومجال الخدمة فى ذلك أوسع منه فى مجال التسويق والبيع والشراء .

وبمناسبة الإتحاد بين مصر وسوريا استولى البعثيون على السلطة فى سوريا ولما كان عسيرا عليهم أن يحققوا أطماعهم السياسة أو أن يزيدوا فيها شيئا فقد اتجهوا إلى ملء الوظائف العسكريـــة والمدنية سواء فى الجيش أو فى الإدارة بمـــوظفين من بين أعضائهـــم وأشياعهم . وبالعدوان السياسى والسياسة المنافية للإسلام أثار البعثيون سخط الجماعة السياســـة الاخرى ولاسيما جماعة الإخوان المسلمين الذين كانوا من قبل قد وقعوا فى خلاف وعداء مع جمال عبد الناصر . وترتب على ذلك أن أصبحوا أعداء للوحدة التى سلبتهم كثيرا من سلطانهم الذى كانوا يتمتعون به من قبل . ثم جاء التأميم بتأميم المشروعات الإقتصاديـــة وإعادة توزيع الأراضى الـــذى لم يكن مبنيا على العدل وخاصة فى الحالة الأخيرة ثم جاءت القيود التجارية فى بلد سياسته تقوم على عدم التدقيق مادام العمل جاريا على أى وجه . كل هذه العوامل مجتمعة ساعدت على إرتفاع موجات السخط إلى دوائر أوسع وأشمل .

كانت جمهورية لبنان فى ذلك الوقت عند مفترق الطرق ، إذ

كان الـــرئيس شمعون يسانده قسم من السكان منافسين فى تيار نحو انتهاج سياســـة غربية خالصة وأما القسم الآخر فقد كان فى صف سياسة عدم الإنحياز التى تبنتها الجمهورية العربية المتحدة . وقد أنتج هذا الخلاف فى الـــرأى صراعا مسلحا استمر من مايو إلى اكتوبر سنة ١٩٥٨ ، وقـــد انتهى الأمر بالصلح على أن ينتهج لبنان سياسة عـــدم الإنحياز على أن يكون مفهوما أن يبقى لبنان مستقلا عن جميع التطورات التى تحدثها القوميـــة العربية وأن يكون أيضا بمعزل عن الوحدة العربية التى يمكن أن تتسع مستقبلا وتشمل عدد آخر من الـــدول العـــربية .

وبينما كان التطاحن على أشده فى لبنان كانت الجمهورية العربية المتحدة تؤثر سياسة عدم الإنحياز وتفضلها على كل شىء وأما العراق والاردن فكلتاهما كانتا خاضعتين للنفوذ البريطانى ولذلك كان ميلها إلى سياسة الغرب أشد وأقوى . فلما وقع الإنقلاب فى العراق فى ١٤ يوليو سنة ١٩٥٨ أطاح بالاسرة المالكة وتبع ذلك أن خسر الإنحياز إلى جانب الغرب فى الشرق الأوسط خسرانا مبينا وخاصة فى لبنان . ولكن حدث لسوء الحظ أن النظام القائم على اسس عربية الذى كان عبد السلام عارف قد انتهجه من قبل لم يعمر طويلا فى العراق وذلك لأن نظاما شيوعيا بزعامة عبد الكريم قاسم كان قد انقض عليه واحتل المكان .

وفى هذه الأثناء كانت بعض الدول الأجنبية والعربية ومن بينهم العراق الشيوعى يعملون على توحيـــد جهودهم لتأليف جبهة ضـــد الجمهوريـــة العربية المتحدة والتركز فى سوريا . ففى ٢٨ سبتمبر سنة ١٩٦١ هبت حركة عسكرية فى سوريا نجحت فى إعادة فصل سوريا عن

مصر وكان قواد حزب البعث وأعضاؤه متفقين على هذا الإجراء العسكرى وفصل سوريا عن مصر من جديد . ومع أن هذا الفصل كان رد فعل ضد السيادة المصريـــة ولكنه فى الحقيقة لم يكن إلا ضربة قاسية حاقت بالقومية العربية . فقد برهن هذا الحادث بما لا يدع مجالا للشك أنه ما يزال هناك فى العالم العربى أفراد وجماعات كل همهم هو معاكسة الوحدة العربية ما لم يجب أن تحقق تلك الوحدة مقاصد وظروفا معينة ذات سمات إقليمية ومصالح شخصية . ومن سوء الحظ أن هؤلاء الأفراد والجماعات على جانب عظيم من الكثرة والعدد فى كل بلد عربى . وعلى أية حالة فإن كثيرا من العرب متشوقون متحمسون لتحقيق الوحدة العربية .

فى ٢٦ ستمبر سنة ١٩٦٢ بعد مضى سنة على انفصال سوريا عن الجمهورية العربية المتحدة هبت ثورة اتحادية فى اليمن وأطاحت بعرش الاسرة المالكة هناك . وكانت حتى ذلك الحين ما تزال حكومـــة اليمن حكومـــة إقطاعيـــة تتبع أساليب العصور الوسطى ونظمها ، ملكها هو ظل الله فى أرضه ، ولكن هذه الظروف والأوضاع لم تستطع أن تقف فى سبيل عبد الناصر ، فقام عبد الله السلال بحركته التى قام بها فى اليمن إذ سرعان ما نشبت الحرب بين الإمام المخلوع محمد البدر و بين قوات الجمهورية . فاستنجد عبد الله السلال بالجمهوريـــة العربيـــة المتحدة التى لم تكن على الأرجح تجهل شيئا من أمر الإستعداد لهذا الإنقلاب فأسرعت النجدات المصريـــة لمساندة الجمهوريين اليمنيين وأخذت على عاتقها أن تكون مقدمة الجيش الجمهورى فى تدبير الخطط والعتاد والقوات

والجنود فى هذا الموقف المعقد المتشابك .

* * *

فى رمضان سنة ١٣٨٢ الموافق ٨ من فبراير سنة ١٩٦٣ قامت حركة فى العراق وضعت حدا للنظام الشيوعى الذى اختاره عبد الكريم قاسم لها وقضت عليه قضاء مبرما وسرعان ما أعادت العراق إلى سابق عهده بموقفه العربى وصلاته الودية نحو الجمهورية العربية المتحدة .

وكانت ثورة الثامن من فبراير متأثرة بجبهة كان فرع حزب البعث العراقى يكون جزءا فيها وكانت هذه الجبهة أكثر ميلا إلى الوحدة وأقل عداوة للإسلام ، إذ أن العنصر الإسلامى فى شعبة البعث العراقيــة هو أكثر ظهورا و وضوحا . وكان عبد السلام عارف رئيس الجمهوريــة العراقية الحالى فى سنة ١٩٤٠ ــ ١٩٤١ من أنصار جماعة الهداية الإسلامية ببغداد . ويرى السواد الأعظم من شيعة العراق ــ و ويؤيدهم فى ذلك العدد الأكبر من الأقليات الكردية الذين هم من سلالات غير عربية ــ ضرورة اتخاذ السياسة الإسلامية فى العراق ضرورة لا مناص منها .

وفى الثامن من مارس سنة ١٩٦٣ أى بعد ثمانية وعشرين يوما على مرور هذا الحادث قام بعض الضباط السوريين فقضوا على الحكم الإنفصالى ونادوا من جديد بإعادة الوحدة مع الجمهوريــة العربيــة المتحدة .

فقـــام صلاح البيطار زعيم المعتدلين فى حزب البعث السورى بتأليف الوزارة .

قامت المفاوضات من أجل إعادة الوحدة أوبعبارة أصح من أجل تكوين وحدة جديدة بين المصريين والعراقيين والسوريين والتقت وفودهم فى القاهرة من أجل هذا الغرض . وقد اعلن اتفاق الوحدة الموقع عليه فى ١٧ إبريل سنة ١٩٦٣ مشفوعا بالمباحثات والمناقشات المستفيضة الحاميـــة التى لابد أن تكون قد سبقته . وقد ورد فى البند السادس من الملحق الأول جعل الإسلام دينا للدولـــة . اجل نفاذ هذه الوحدة وتحقيقها عشرين شهرا منذ تلك اللحظة وبعد إجراء استفتاء عام قبل انقضاء هذه المدة المعينة بخمسة عشر شهرا .

ولقد أصر جمال عبد الناصر أن يكون التوقيع على الاتفاق من جانب رؤساء الوفود الثلاثة وأعضائها جميعا على السواء . فوقع أعضاء الوفـــد السورى السبعة عشر على الاتفاق وفقا لذلك .

ولقد كان جمال عبد الناصر على حق فيما توقعه فلم يكد الوفد السورى المؤلف من لوى الأتاشى ، رئيس مجلس قيادة الثورة السورى وصلاح البيطار ، رئيس الجمهوريـــة السوريـــة ، ورئيس الوزراء والشخصيات ذات النفـــوذ فى الجيش والوزارة السوريين يعودون إلى سوريا حتى بدأت حركة تطهير واسعة النطاق فى الجيش وفى الحكومة اقصى فيها غير البعثيين عن مراكزهم . وقد طرد أيضا عدد من أعضاء الوفد السبعة عشر فتوترت من نتيجة هذا العمل العلاقات بين مصر و سوريا وتأخرت الاستعدادات لتحقيق الوحدة . وأما حكومة العراق التى

هى الاخرى كانت واقعة تحت نير لشعبة من شعب حزب البعث فلم تتخذ قرارا ثابتا تجاه الموقف المعقد .

وفى عيد الأضحى أى فى العاشر من ذى الحجة سنة ١٣٨٢ الموافق ٤ مايو سنـــة ١٩٦٣ دفع جمال عبد الناصر زيارة رسمية من جانبه إلى الجزائر فتلقاه الجزائريون بالفرح والتهليل وحيوا فيه الأخ الأكبر الذى " وقف بجانبهم فى حرب الاستقلال وساندهم ماديا وأدبيا " ولقد صرح رسميا بأنه "لو لم تكن مساعدته القيمة المستمرة لما استطاعت الجزائر أن تبلى بلاء حسنا فى حربها ولما استطاعت أن تحوز النصر النهائى" . ولقد صرح زعماء الجزائر هم الآخرون عن رغبتهم المنتظرة فى لحاقهم بالوحدة العربيـــة فى المستقبل القريب . وفى ٢٠ مايو رد أحمد بن بلا رئيس الجزائر الزيارة إلى مصر . ولقد تحدث جمال عبد الناصر فى خطابه الذى ألقاه على الجنود المصريين عقب عودتهم من اليمن وفى حضور أحمـــد بن بلا حديثا فياضا عن أحمـــد بن بيلا وصفه فيه بأنه " عربى غيور ذوحمية ـ ـ ـ ـ ، وأنه ثائر يفهم معنى الثورة ويشارك مشاركة فعالة فى العمل بين صفوف الثوار ، وأنه المحارب الذى خاض المعركة وصار خبيرا بأعصب المواقف التى يواجهها مقاتل فى حرب مسلحة ، وأنـــه الظافر الذى ضرب مثلا أعلى فى الصبر والشجاعة والجلد والعزم حتى نال النصر ممجدا من كل نواحيه ، علما ورمزا لما يستحق الجزائريون جميعا أن يكونوا أهلا له ، فهو عربى جدير بعروبته ، جدير بما هو أهل له من طموح سياسى واجتماعى" .

وقبل أن ينهى خطابه أشار جمال عبد الناصر ملمحا إلى سياسة عدم الثبات على مبدأ بقصد مراعاة أصحابها لمصالحهم الشخصية وبقصد الإساءة

إلى المثل العليا خاصة تلك المثل التى يفترض فى أصحابها ومعتنقيها أنهم قوة دافعة وراء الثورة ثم واصل خطابه مبينا أن مثل هذا العمل ليس عرقلة حزبية أو سياسية فحسب وإنما هو إنكار لتضحيات الأبطال الذين أخذوا على عاتقهم من جديد إثارة الثورة من أجل العرب ومجدهم بعد ما نكصت على عقبيها على إثر الانفصال . ثم اختتم حديثه بتأكيـــده تأكيد الواثق من نفسه أن الامة العربية عند ما تحين الساعة لن تغفر ، ولو كان هنالك مجال للعفو والغفران ، الإساءة إلى شرف التضحيات العظمى التى صمد لها أبطالها فى ميدان المعركة .

* * *

والخلاصة من وجهة رأيي المتواضع هى أن القومية العربية فى الوقت الحالى تعانى آثار عقدة منشؤها قادة الأحزاب السياسية العربية فى آسيا وهى : كيف يجرؤ بلد آخر من غير دمشق وبغـــداد مركزى الأمبراطورية العربية فى العالم القديم،أن يكون له الصدارة فى تحقيق وحدة العرب .

فى المحل الأول وعند تناول المشكلة من أوسع جوانبها نجد أن الجنسيـــة ليس معناها بالضرورة هو القوميـــة . فالشعوب التى نطلق عليها اليوم تسمية العرب ، خاصة فى العراق وفى سوريا وفى لبنان لا شك فى أن أكثرهم من سلالات عربية ، أما الأكراد والترك والفرس والعبرانيون والأرمنيون الذين منحوا حق الجنسية كعراقيين وسوريين ولبنانيين فى سنة ١٩٢٤ وفقا لنصوص معاهدة لوازن وفى المناسبات التالية لها فيما بعد فأيضا يكونون أقلية كبيرة .

وثانيا فإن تعداد العرب فى أقاليم آسيا لا يمكن أن يتعدى بحال من الأحوال عشرين مليونا بينما فى إفريقية وحدها يعيش ستون مليونا من العرب ولكن الديمقراطية تقضى بأن تنحى مصالح الفئة القليلة جانبا من أجل الخير العام للامة جمعاء .

وثالثا فعلينا أن نتذكر أن الأحزاب بوصفها طرقا ووسائل للحصول على الاستقلال السياسى والوحدات القومية ، ما هى فى الواقع إلا تاريخ القرن التاسع عشر الذى مضى وانصرم . أما اليوم فنحن نعيش فى عهد الحركات والانتفاضات ، وإن إفريقية لم تعجز قط فى عشر السنوات الأخيرة عن إقامة الدليل على كونها أهلا أن تتزعم الحركات السياسية الظعمى كما فعلت آسيا من قبل فى تاريخها الطويل المجيد .

* * *

المـــراجـــع

١ ــ انظر Assyrische Lesestucke تأليف فان ديليش (Von Delitzsch) ، ص ١٥٦ ؛

ــ An assyrian Manual تأليف د ــ ليون (D. G. Lyon) ، طبع شكاغو ١٨٨٦ ، ص ١٠١ ؛

ــ اللباب، طبع بيروت ١٨٨٧ ــ ٩١ ، ج ١ ، صص ٢٨٩ ــ ٢٩٠ ؛ أيضا ج ١ ص ٢٠٥ ؛

ــ William Gesenins, Hebrew and English Leicon of the Old Testament لأدور روبنسن (Edward Robinson) ، صص ٨٢٠ ــ ٢٣ ، طبع بوسطن ١٨٨٤ ؛

ــ دائرة المعارف الإسلاميــه (Encyclopaedia of Islam) الطبع الجديد ، ج ١ ، ص ٥٢٤ ــ ٥٢٥ .

٢ ــ قابل اللباب ، ج ١ ص ٢٠٥ ، و ج ٢ ، صص ٢٨٩ ــ ٩٠ ؛ و Gesenins ص ٨٢٠ ــ ٢٣ مع لسان العرب ، صص ٥٨٦ ــ ٩٣ و ٦٣٧ ــ ٤٨ ، طبع بيروت ؛

ــ تاج العروس ، ج ١ ، صص ٣٧١ ــ ٧٦ و ٤٠٤ ــ ١٢ ؛

ــ لين (Lane) ، ج ١ ، صص ١٩٩١ ــ ٩٥ و ج ٦ ، صص ٢٢٤٠ ــ ٤٤ .

٤ ــ Dictionary of the Bible ، صص ٨٩ ــ ٩١ طبع بوسطن ١٨٦٣ .

٥ ــ معجم البلدان لياقوت ، ج ٣ ، ص ٦٣٣ ، طبع لبزغ ١٨٦٦ ــ ٧٣ ، الآن واقع فى جنوب البحر الميت ؛

ــ دائرة المعارف الإسلامية (Ency. Isl.) الطبع الجديد ، ج ١ ، صص ٣٦٢ ــ ٦٣ .

٦ ــ معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٦٢٢ .

٧ ــ المرجع السابق ، ص ٦٣٣ .

٨ ــ انظر Oxford Dictionary ، ج ١ ، ص ٤٢٣ ، مطبعة جامعة اكسفورد ، ١٩٦١ .

٩ ــ دائرة المعارف البريطانية (Ency. Brit.) ، الطبع الحادى عشر ، ج ٢ ، ص ٢٨٣ .

١٠ ــ دائرة المعارف الإسلامية (Ency. Isl.) ، الطبع الجديد ، ج ١ ، ص ٥٢٥ .

١١ ــ " أيام تعطيه خرجا من حجامتها ــ يوما فيوما توفيه باربان " اربان بضم الهمزة لغــة فى العربون : البيان والتبيين للجاحظ ، ج٣ ؛ ص ٣٢٣ ، ١٣٦٧ــ٦٨ هـ/١٩٤٨ ــ ٤٩م ، طبع القاهرة .

١٢ ــ تاج العروس ، ج ١ ، ص ١٤٧ .

١٣ ــ قاموس ، ج ١ ، ص ١٠٣ .

١٤ ــ انظر دائرة المعارف الإسلامية (Ency. Isl.) ، الطبع الجديد ، ج ١ ، ص ٩٦١ .

١٥ ــ عينان بالجزيرة العربية .

١٦ ــ الديلم هم الفرس، انظر ترجمة المعلقات بالألمانية (Funf Mo'allaqat' Die Mo'allaqat Antara's und Labid's, S. 18, Nr. 28) ثيودور نولديك (Th. Noldeke) .

١٧ ــ القرآن الكريم ، ٥٦ : ٣٧ ؛ انظر ترجمة رودويل (Rodwell) ، ص ٢٧ ؛ وترجمة محمد على ، ص ١٠٢٢ ؛ طبع لاهور ١٩٥١ ، وترجمة بكثال (Pickthall) ، ص ٥٦٢ .

١٨ ــ القرآن الكــريم ، ١٢ : ٢ ؛ ١٣ : ٣٩ ؛ ١٦ : ١٠٣ ؛ ٢٠ : ١١٣ ؛ ٢٦ : ١٩٥ ؛ ٣٩ : ٢٨ ؛ ٤١ : ٣ و ٤٤ ؛ ٤٢ : ٧ ؛ ٤٣ : ٣ ؛ ٤٦ : ١٢ .

١٩ ــ القرآن الكريم ، ٤١ : ٤٤ .

٢٠ ــ إنجيل متى ، ٢٢ : ٢١ ؛ انظر ايضا ٢٢ : ١٧ ؛

ــ إنجيل مرقس ، ١٢ : ١٤ و ١٧ ؛

ــ إنجيل لوقا ، ٢٠ : ٢٢ .

٢١ ــ القرآن الكريم ، ٤٩ : ١٣ .

٢٢ ــ سنن أبى داؤد ، كتاب الأدب ، باب فى العصبية ، حديث ٥ ؛

ــ انظر ايضا مسند أحمد بن حنبل ، ج ٢ ، ص ص ٣٠٦ ، ٤٨٨ ، القاهرة ١٣١٣ هـ .

٢٣ ــ سيرة ابن هشام ، ص ٦٣٣ ، طبع جوتنجن (Gottingen) ، ١٨٥٩ ــ ٦٠ ؛ و Das Bild des Fruhislam in der Arabischen Dichtung ، للاستاذ عمر ــ ا ــ فرخ : ص ١٢٨ ، طبع لبزغ (Leipzig) ، ١٩٣٧ .

[لا يوجد هذا البيت فى ديوان حسان بن ثابت، ولكن نسبه ابن اسحاق

الى كعب بن مالك الذى قاله فى يوم الاحد ، انظر :

— السيرة النبويه لابن هشام، ج٣، ص١٦٢، تحقيق الاساتذة مصطفى وابراهيم وعبد الحفيظ ، مصر ١٣٥٨ هـ ،

— سيرة النبى لابن هشام، ج٣،ص١٤٧، تحقيق الاستاذ محمد محى الدين، القاهرة ، المطبعة الحجازية ، ١٣٥٦ هـ ،

— Life of Mohammed (ترجمة سيرة رسول الله لابن اسحاق، ا — غيوم A. Guillaume)، ص٤٢٢، مطبعة جامعة اكسفورد ، ١٩٥٥ ،

— يستعمل حسان بن ثابت ايضاً كلمة ''العرب'' بمعنى القومية العربية فى بيت يخاطب فيه الحارث بن عامر عند سرقة غزال كعبة :

جلت قومك مخزاة ومنقصة
ما لم يجلله حى من العرب

(ديوان حسان، سلسلة تذكار غب (Gibb)، ص٣١)

وربما كلمة ''العرب'' فى بيت حسان هى اقوى دلالة على الفكرة القومية العربية مما هى فى بيت كعب ،
لم يعثر الدراسات على طبع جوتنجن (Gottingen) لسيرة ابن هشام الذى اقتبس منها الاستاذ عمر هذا البيت — — الاداره]

٢٤ — الأغانى ، (بولاق) ، ج ١٢ ، ص ١٥٦ ؛ و
— طبرى ، طبع De Goeje ، ج ١ ، ص ١٧١٧ ؛ و
— المرجع السابق للاستاذ عمر — ا — فرخ .

٢٥ — القرآن الكريم ، ٩ : ١ — ٢٩ .

٢٦ — كتاب الخراج لأبى يوسف ، ص ٧٩ و ١٤٥ ؛ طبع القاهرة ، ١٣٤٦ هـ ؛
— كتاب الخراج ليحيى بن آدم ، ص ٢٦ ، طبع القاهرة ، ١٣٤٧هـ.

٢٧ — القرآن الكريم ، ٩ : ٥ و ١٣ و ١٤ ؛

ـ كتاب الخراج لأبي يوسف ، ص ٧٩ : السطر الأخير ؛

ـ كتاب الخراج ليحيى بن آدم ، ص ٢٦ .

٢٨ ـ كتاب الخراج لأبي يوسف ، ص ٧٩ : سطر ١٢ .

٢٩ ـ المرجع السابق .

٣٠ ـ ابن الأثير ، ج ٢ ، صص ٧١ و ٧٦ ـ ٧٧ .

٣١ ـ المرجع السابق ، ص ١٩٣ : سطر ١٢ ـ ١٣ ؛

ـ كتاب الخراج لأبي يوسف ، ص ١٧٥ .

٣٢ ـ كتاب الخراج لأبي يوسف ، ص ١٤ ؛

ـ كتاب الخراج ليحيى بن آدم ، ص ٦٦ .

٣٣ ـ كتاب الخراج لأبي يوسف ، ص ١٤٣ ؛

ـ كتاب الخراج ليحيى بن آدم ، صص ٢٤ ـ ٢٦ و ٦٥ .

٣٤ ـ انظر التعريف اللغوى لكل العهود فى Arabic English Lexicon ، تأليف لين (Lane) ، الكتاب الأول ، ج ٤ ، ص ١٥٥٧ .

٣٥ ـ البيان للجاحظ ، ج٣ ، ص ٥ ـ ٦ ؛ انظر أيضا ص ١٢ ، سطر٣ ؛ ص ٢٩ ؛ ص ٣١ ، سطر ٣ ـ ٥ ؛ ص ٨٩ ، سطر ١٥ .

٣٦ ـ ديوان أبي فراس ؛ ص ٤٨ ، بيت ١٢ ، تحقيق الاستاذ سامى دهان ، طبع بيروت ١٣٦٣ هـ/١٩٤٤ م .

٣٧ ـ المرجع السابق ، ص ٢٤٧ ، بيت ٢٠ .

٣٨ ـ مقدمة ابن خلدون ، صص ٢٢٧ ـ ٢٨ ، طبع بيروت ١٩٦١ .

٣٩ ـ الحزب الوطنى معبر خطأ بالحزب القومى (National party)

٤٠ ــ توران صقع فى شمال شرقى إيران هاجر منه الترك أصليا .

٤١ ــ Le syrie ، بيروت ، ١٩٢١ ، ٢ : ٢١٩ .

٤٢ ــ الثورة العربية الكبرى للاستاذ أمين سعيد ، ٢ : ٤٨ ــ ٥٠ ، طبع القاهرة ، ١٩٣٥ ؛

ــ The Arab Awakening تأليف ج انطونيو ، ص ٤٤٠ ، طبع بيروت ١٩٥٥

* * *